جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى /كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

شعر حارثة بن بدر الغداني

دراسة موضوعية فنية

رسالة تَقَدَّمَ بها

ليث سامي علوان الكرخي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير في (اللغة العربية وآدابها)

بإشراف
الأستاذ الدكتور

خليل ابراهيم عبد الوهاب

المبحث الاول

اشعاره بموضوعات رئيسة ، وهذه الموضوعات كانت في نطاق الحياة التي يعيش بها ، فالخمرة وهي اكثر الاغراض التي اشتهر بها فهو كان شاعراً خماراً وكان يجالس الامراء والخلفاء اما المدح فنال حظاً من موضوعات حارثة وهذا المدح كان قصده كسب ود الملك من اجل المال .

اما نقائضه فكانت تولدها الحادثة الآنية الانفعالية واغلبها كانت مع إبن زنيم.

1- الخمر

تعد الخمرة مظهراً مهماً من مظاهر الحياة الاجتماعية في كل العصور ، وهذا المظهر إنْ وجد في مكان او بيئة ما فهو دليل على الحيرة والقلق ومحاولة التخلص من امور واعباء ثقيلة ألمت بأشخاص ما في ذلك العصر ، فهي تعد وسيلة للتهرب من الهموم في اغلب الاحيان ، وفي الوقت نفسه تعد مصدراً وشراباً للطبقة المترفة اجتماعياً .

لغة : خامر الشيء أي قاربه وخالطه [1] ، والخمر اصطلاحاً: ((عصير العنب حين يغلي ويقذف الزبد من غير أن تمسه نار ، ويظل هكذا حتى يصير خلاً)) [2] .

وفي القرآن الكريم وردت لفظة خمر بمعان عدة منها قوله تعالى : چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ چ [3] ، وجاء ذكر الخمر في القرآن الكريم في موضع اخر ، ٹ ٹ ٹ چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ چ [4] الخمرة هنا نفي وتأكيد ، نفي من تشابه خمرة الدنيا مع خمرة الاخرة ، وتأكيد على خمرة اللذة الاخروية الموجودة في رياض الجنة ، والعرب ذكروها في قصائدهم واعتنوا بوصفها ووردت في اشعارهم ((من اعجب الامور أن

(1) ينظر : لسان العرب للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، دار بيروت ، د ط ، 1956، مادة خمر .
(2) كتاب الاشربة وذكر اختلاف الناس فيها ، ابن قتيبة الدنيوري ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ط2 ، 1947 / 4 .
(3) سورة يوسف / 36 .
(4) سورة محمد / 15 .

يكون الادب العربي من أغنى أداب العالم في الخمرة ، مع تحريمها في الاسلام وحلها في غيره من الاديان)) [1] إذ استعملها الشعراء في الجاهلية .

الخمرة هي الوسيلة التي يهرب بها الناس من مواجهة واقعهم النفسي المتأزم وخاصة الشعراء إذ يجدونها الوسيلة الوحيدة للابتعاد عن الهموم ، ومنهم من يجد نفسه في راحة تامة ناسياً كل همومه بعد إن صعب عليه نسيانها في الحقيقة فنلاحظ بعض الشعراء قد أغرق نفسه في الخمرة الشعرية فأتخذها ملهماً لشعريته[2].

أَدمن الجاهليون الخمرة ، والادمان هذا ادى الى اسرافهم في وصفها ، والكثير من الشعراء رسموا لنا لوحات لما شاع وكثر في الجاهلية من تهتك ومجون ، ومنهم من أبتدأ قصيدته بالخمرة فأصبحت بمثابة الطلل ، ومنهم عمرو بن كلثوم فقد أستهل معلقته بذكر الخمرة فقال [3]:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقى خُـــمـــور الاندرينا

أما الاعشى الذي يعد رائد الشعر الخمري ، فقد رسم الاطار التقليدي العام لقصيدة الخمرة في الجاهلية ، إذ انه يقول في مدح أَياس بن قبيصة الطائي [4] :

وشمول تحســـــب العين ، إذا صفقت ، وردتها نور الذبح

مثل ذكي المسك ، ذاك ريحها صبها الساقي ، إذ قيل : توحْ

(1) مقدمة كتاب الخمريات في الشعر العربي من مطلع الجاهلية الى أبي نؤاس ، جميل سعيد ، ط1 ، مصر ، 1945 / 3

(2) ينظر : شعر اللهو والخمر ، تأريخه واعلامه ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1 ، 1966 / 6.

(3) شرح المعلقات السبع ، ابي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسن الزوزني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2009 / 111 .

(4) ديوان الاعشى : د – عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، 1993 ، د – ط / 53 ، الشمول الخمرة الباردة التي بردتها ريح الشمال ، الذبح – نبت ذو زهرة حمراء وهو حلو يؤكل .

الشاعر يتحدث عن الخمرة ويشبه أزهارها كأنها اصطفت كنبتة حمراء ، فتشم رائحتها كأنها رائحة المسك التي تجذب أليها الساقي ، ليسقي الناس منها [1].

فالأعشى عشق الخمرة وأبدع فيها أيما ابداع ، فلم يترك شيئاً عن الخمرة ووصفها، الا وتحدث عنها .

إنَّ بعض الشعراء تحدث عن صفاتها وطعمها ، وفي هذا نجد اكثر من شاعر يتفق على معنى واحد في الطعم ومنهم الاعشى فيقول [2] : من الطويل

وكأسٍ كماءِ النيَّ باكرتُ حدها بغرتها إذ غـــابَ عني بغاتها

شبه الشاعر الخمرة هنا بلون اللحم الذي يطبخ ، بعد هذا التشبيه يأتي لون اللحم المشابه للون الخمرة ، فالخمرة لها صورة لا تفارق مخيلته ولا يغفل عن لونها وطعمها ، فنجد امتزاج الخمرة بالدم دلالة على لونها .

اما عن ابرز خصائص الشعر الخمري فكثيرة ، ومنها أن شعراء العصر الجاهلي لم يفردوا لها قصيدة كاملة تتحدث عن أوصافها بوصفه فناً مستقلاً كما هو الحال في بقية موضوعات الشعر العربي ، بل نرى الشاعر يتحدث في قصيدة عن وصف تأثيرها ، وفي أخرى يتحدث عن مجلسها ، وفي الاخرى يتحدث عن الاواني التي تقدم بها الخمرة [3] .

(1) ينظر : فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب ، أيليا حاوس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د– ط / 11 ، 15 ، 28 ، 45 .

(2) ديوان الاعشى / 42 .

(3) ينظر فن الشعر الخمري / 14 – 15 ، وينظر حديث الاربعاء ، طه حسين – دار المعارف ، مصر ، 1968 : 2 / 76 .

إذن الخمرة لم تقف كفن مستقل بحد ذاته كما هو الحال في المديح والهجاء والفخر، وهذا كله بسبب الحياة في ذلك الوقت لم تكن تسمح بذلك لانشغال الشعراء بموضوعات شعرية أكثر أهمية من الخمر [1] .

اما الصفة الاخرى فنجد أن الاشعار مكررة ، إنْ لم تكن باللفظ فبالمعنى وتكاد تكون الفكرة واحدة والالفاظ متعددة ، فنجد النسخ من شاعر لأخر .

إذن خمرة العصر الجاهلي هي خمرة تقليدية استنساخية ولولا شعر الاعشى وطرفة بن العبد لكانت تقليدية وليست تجديدية .

من حيث الشعر الخمري فقد اصاب الشعر ركود ، وهذا الركود ادى الى سكوت الشعراء عن وصف الخمرة ، وذلك بسبب تحريم الدين لها على مراحل ، وهذه الخمرة تحررت من الخمرة الجاهلية ، إذ إنها تحررت من حسيتها ووصفيتها المغرقة وعباراتها المتجهمة [2] ، فضلاً عن ذلك إن الخلفاء قد جدوا في تحريم الخمرة وانصرافهم الى نشر الدين الجديد وتعاليمه ، وكذلك الى الفتوحات الاسلامية التي عمت العالم ، هذا كله أدى الى سكوت الشعراء عن الخمرة [3] ، خوفاً وايماناً بحرمتها كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وكذلك الخوف من الخلفاء ، هذا كله ادى الى انحسار الشعر الخمري .

أَما بنو أَمية فنرى عودة الخمريات الى مجالسهم إذ عُنَيَ خلفاء بني أُمية عناية كبيرة بمجالس الشعر ، كل هذا أدى الى انصراف الناس الى المشاكل ونسيان الحكم ، وهذا كان هدف بني أُمية الذي سعوا اليه ، وكل هذه المشاكل التي أوجدها الامويون ، أَدَتْ الى ظهور مجالس خمر خاصة بهم ، مع علمهم بتحريم الاسلام

(1) ينظر فن الشعر الخمري / 17 .
(2) ينظر : م . ن / 79 ، 98 ، 170 .
(3) ينظر : حديث الاربعاء ، 2 / 76 .

للخمرة ، وهذا بسبب الانفتاح الذي شهده العصر الأَموي من عمران وأموال كثيرة واقتناء الخدم والجواري [1] .

ويبرز لنا شاعر من شعراء الخمريات هو حارثة بن بدر الغداني الذي كان داخل دائرة الأسلام وعوتب كثيراً على شرب الخمرة ومعاقرته لها ، إلا إنه لم يمتنع عن الخمر فقال في قصيدة له [2] : من الطويل

إذا كنت ندماني فخـــــذها وســـقني ودع عنك من رآكَ تكرعُ في الخمرِ
فإني امرؤ لا اشربُ الخمرَ في الدجا ولكنني أحسُـــو النبيـــذ من التمرِ
حيـاً وتقـــىً لله واللـــهُ عـــــالمُ بكلِّ الذي نأتيه في الســـرِ والجهرِ
ومثلُـــك قـــد جربـــتُه وخبرتـــهُ إبا مطر والحينَ أسبابه تجَـــــرَي
حساها كمُستدمي الغزال عتيقـــــةً إذا شُعشـتْ بالمـــاء طيبةَ النشـــر
اقـــام عليها دهـــــــره كل ليلةٍ يُشافِهُها حتى يرى وضـــــحَ الفجـــرِ
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضحكـــةً لا صحابـــه حتى يُدهـــــدهَ في القبر
فما إن بكـــــاه غير دنَّ ومزهـــــرٍ وغانيةٍ كالبـــدر واضحـةٍ الثغـــــرِ
وباكيـــــةٍ كـــــانتْ له خـــدنُ زنيةٍ يُعاقرهـــــا والليـــلُ معُتكـــــرُ السترِ

يحاول الشاعر من البيت الاول المحاورة والمخاطبة ويعلن موقفه من شرب الخمر ويتنادم مع صاحبه ويشربها ويقدمها لمن يجلسون معه ، ويعلن ذلك ويشربها علانية ولا يخاف من أحد ، ولكنه يشربها وصاحبه الذي يشرب الخمر معه قد جربه واصبح ذا خبرة وتجربة في شربها وهو هنا يكنيه بأبي مطر ، ثم يعرج على وصف الخمرة ويصفها بانها كدم الغزال في الاحمرار إذا مزجت بالماء فكانت لها رائحة طيبة ، ويقف مع صاحبه فيذكر لنا إدمان صاحبه واحتسائه الخمرة ، حتى إنه ليقوم الليل بأجمعه على شرب الخمرة ويبقى على حاله حتى بزوغ الفجر ، ويشبه لنا حاله كالميت من شدة السكر ولكن أية ميتة هذه ، إنها كميتة الكلب وهي ميتة نتنة ولا يكتفي بهذه الميتة، إذ إنَّه يصبح أضحوكة لأصحابه ومن شدة سكره يكاد يدخل القبر

(1) ينظر : فن الشعر الخمري / 97 .

(2) شعراء اموبون : 2 / 352 – 353 ، وردت في الديوان تقى ولكن في الاصل تقاً وهو الاصح ، وباكية أيضاً وردت في الديوان لكن الاصل وردت وباطية (الاغاني ، ج8 / 393 – 394) ، وابا مطر هي كنية ابن ظبيان .

دون أن يكترث له اصحابه ويهتموا لأمره ، وما يبكيه سوى اصحابه الذين يحتسي الخمرة معهم وهي المغنية التي يواقعها في الليل الذي يستر كل شيء.

ينتقل شاعرنا الى مقطوعة جميلة ، إذ إنه يعد الخمرة مظهراً ورمزاً يدل على الكرم فهي تريح الانسان من الهموم والاعباء الثقال ، فاذا ما ارتاح هنا برزت عنده صفة الكرم والحنين والسخاء وتجعله الخمرة اكثر تسامحاً في المجتمع الذي تحدث فيه تغيرات كثيرة ، فقال [1] : من الطويل

إذا ما شربتُ الراح أبدتْ مكارمي وجُدْتُ بما حازتْ يداي من الوفرِ

وإن سبني جهلاً نديمـــي لم ازدْ على أشربْ سقاكَ اللهُ طيبةَ النشرِ

ارى ذاك حقاً واجباً لمُنادمـــــي إذا قالَ لي غيرَ الجميلِ من النكْرِ

يبين حارثة أَنَّ صفة الكرم لصيقة بالخمرة ، فيوضح لنا إنه كلما شرب الخمرة ازداد كرمه ، وتجد اكثر رواد الخمرة ومحتسيها من الكرماء وبحسب ما تجود به أيديهم ، وصفة الكرم ليست الوحيدة عند محتسي الخمرة ، بل تجد معها صفة العفو والتسامح مع الناس [2] ، والتأكيد على قول الجميل من القول وعدم الاساءة لمن أساء اليه ، بل يقابله بالإحسان والقول الجميل لصاحبه وإنْ لم يبادله بنفس الكلام يكون تجاوز أخطاء الاخرين والابتعاد عن قول المنكر والاساءة بقول المعروف والاحسان لمن أساء اليك ، حارثة يصف الخمرة وكأنها تعطي الحِكَمُ والمواعظ لشاربها وكأنه يرغّب في الخمرة ويريد من الناس احتسائها .

يبقى حارثة مولعاً بالخمرة وبأوصافها ، ومدافعاً عنها إذ إنه قال حينما عاتبه أَبو صخر مخارق بن صخر على الشراب : [3] من الطويل

غدا ناضحاً لم يألُ جهداً مُخارق

يلومُ على شربِ السلافِ المعتَّقِ

(1) شعراء امويون ، 2 / 353 .

(2) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي ، رسالة ماجستير ، لجين محمد عدنان ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، 2008 / 33 – 34 .

(3) شعراء أمويون ،354/2–355 ، وابو صخر هو أحد بني ربيعة بن مالك وكان شاعراً ، ينظر الاغاني ، 421/8 .

فقلتُ أبا صخرٍ دعْ الناسَ يجهلوا ... ودونكها صـــهباءَ ذاتَ تـــألقِ
تراها إذا ما الماء خالط جسمها ... تخايَلُ في كفَّ الوصيفِ المُنطَّق
لها أرجٌ كالمسكِ تُذهبُ ريْحُها ... عماية حاســـــيها بحُسن ترفقِ
وكم لائمٍ فيها بصيرٌ بفَضلها ... رمتهُ بسهمٍ صـــــائبٍ متزلَّقِ
فظـــلَّ لريّاها يعضُّ ندامــة ... يديهِ وأرغى بعدَ طـــولِ تمطق
فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة ... لقول لئيـمِ جـــاهلٍ مُتـــحذلق
يعيب عليَّ الشربَ والشربَ همه ... ليُحْسَبَ ذا رأي أجيل مْصدَّقِ

هذه القصيدة قالها حارثة ((حينما عاتبه ابو صخر على شربه للخمر عندما دخل عليه وقال له : قد أسقطتْ الخمرة قدرك ومروءتك)) [1] ، فرد عليه حارثة بهذه المقطوعة .

إن شاعرنا يُصر على ذكر فضل الخمرة وتأثيرها الساحر في النفوس فيصف تلك الاجواء المخملية وما فيها من لذة للشاربين ، كل ذلك رداً على لائميه على شربه الخمرة .

لقد أقترب الشاعر في هذه الابيات من لمسات البيان ولغة الشعر ، فعباراته فيها شيء من الرقة ، وألفاظه مرصوفة متتابعة بانسياب ، أما معانيه فلم تخرج عن دائرة العذل واللوم والوصف المعهود للخمرة ، وحثه الناس على شربها فعندما يعاتبه صاحبه أَبو صخر ويلومه على شرب الخمرة المعتقة يرد عليه أَنْ يترك الناس فهم جاهلون للخمرة ولذتها وخذ هذه الخمرة المتألفة بلونها ، وعندما يقول تخايل في كف الوصيف ، فيصفها وصفاً جميلاً فهي كالخيال لرقتها .

ويكرر وصف رائحتها ويشبهها بالمسك تكاد تعمي من يحتسيها ، واستعمل كم الخبرية لبيان عدد اللائمين الذين يرون ويعرفون فضلها ، فسهم الخمرة صحيح يرمي

(1) الاغاني : 8 / 421 .

كل لائم يعرف فضلها وينكرها ، فيظل هذا اللائم يعض إِصبعه ندامة لما وجده من رائحتها الطيبة واستطابة الشيء وتذوق الطعام .

يعطي شاعرنا لنفسه عذراً في شربه للخمرة فأنها تُسلّيهِ وتنسيه همومه وإنها تعينه وهو الذي يصف نفسه (بالمستهام) وهي الهيام ارفع درجات الحب فهو هائم مشتاق ، ويعود الشاعر من جديد ليؤكد بانه لن يترك الشراب ، بسبب لومه من قبل شخص حاقد يتحذلق في كلامه ، وهو يُعاب على شرب الخمرة وهذا همه ليظن انه صاحب رأي سديد وصادق .

حارثة بن بدر شاعر مولع بالخمرة وشربها ، وهو لا ينفك يعاقرها ليلاً ونهاراً ، وكأسه مُترع منها يعب ما يشاء ليقتل همه ويذهب سقمه ، فهي له كالرحيق المعتق ، وكأنها ماء الحياة الذي يسري في عروقه .

حارثة الغداني بدا قلقاً من أمر شغل تفكيره واصبح شيئاً لا يفارق مخيلته وعقله وأثر هذا في نفسيته ، إنَّه الموت الذي لابد من نهاية الحياة معه وهو إنعدامها .

هذا كله ادى الى قلقه النفسي الذي بدا واضحاً في حياته إذ إنَّ قلقه هذا دفعه الى الخمر التي يعدها المحول الرئيس من القلق الى الطمأنينة ، وهذا القلق أدى الى اضطراب في فكر حارثة مما أدى الى تقييد تفكيره واضطراب وتشويش في نفسيته ، فجعله هذا أنساناً مريضاً وهذا المرض أدى به الى الخوف من مواجهة الامور البسيطة [1] .

هذه الاضطرابات المحيطة بالغداني والتي كان عليه الاتعاظ منها ، ويعرف ان قدره لابد ان يأتيه شاء أم أبى .

(1) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي / 65 .

فحارثة بن بدر يرفض أي نصيحة تبعده عن الخمر إذ انه يعلن تمسكه بالخمر فقال [1] : من الطويل

أَذهبَ عني الغمَّ والهمَّ والـــــذي به تُطرد الاحداث شربَ المروَّقِ
فو الله ما انفكُّ بالراحِ مُهـــــتراً ولو لام فيهـــا كـــل حُرٍّ موفقِ
فما لائمي فيها وإن كانَ ناصحـاً بأعلمَ منِّي بالرحيقِ المُعتـــــقِ
ولكنَّ قلبي مُستـــهامٌ بحُبـــــها وحـــــبُ القيان رأَي كل مُحمقِ
أحبُّ التي لا أملكَ الدهرُ بغضها وذلكَ فعلُ معجـــــبُ كلِّ أخرقِ
سأشربُها صِرفاً وأَسقي صحابتي وأطلبُ غرَّاتِ الغزالِ المُنطـــقِ

هذا التمسك بالخمرة الذي يشبهه بالحبيبة الهائم بها التي لا يستطيع مفارقتها ، وهو يؤكد أنه سيظل عاكفاً أَبد الدهر على شربها ، ويريد أَنْ ينسى همومه وهذا النسيان لَنْ يتحقق الا بشربه للخمرة وعدم تركها ، فهو يعدها سر وجوده ومبعث راحته وطمأنينته التي يريد منها أَنْ تُغير له مجرى الزمن [2] .

البيت الخامس فيه تكرار للمعنى ، فهو في بعضه تكرار لمعنى البيت الرابع (فهو مستهام بحبها) ، ويعاب عليه ذكر معنى (البغض) هنا ، فكيف يكون من ذاب في عشق الخمرة مبغضاً لها يوماً .

كان حارثة رجل دُنيا يعشق الخمرة ويحب اللهو وكان كثيراً ما يتحدى بشعره الماجن الأَحنف بن قيس فهو قد يكون أبا المجون فيقول رداً على الأَحنف :

يعيبُ عليَّ الراح من لو يذوقها لجُنَّ بها حتى يُغَيَّـــــبُ في القبرِ

وفي موضع اخر يقول :

سأشربُها صهباءَ كالمسكِ ريحها واشربُها في كلِّ نـــــادٍ ومشهد

حارثة جريء في إِعلانه شربه للخمرة وإِنَّه لن يتركها ابداً وهو ليس وحده يشربها علانية ، فهو في موقفه هذا يعد صاحب مجون انتشرت في البصرة مع سكوت الولاة

(1) شعراء امويون ، 2 / 355 ، مهتراً ، مولعاً ، المنطق : لابس المنطقة ، المروق : المصفى .
(2) ينظر : مجالس الخمر في الشعر الاموي / 65 .

عنه [1] ، فحارثة صاحب خمريات كثيرة وكان يرد على لائميه ومعاتبيه دائما ، وإن سبب سكوت الولاة عنه ؛ لأنهم مع خلفائهم كانوا يعاقرون الخمرة فكيف يمنعون غيرهم .

2- النقائض

النقائض ومفردها نقيضة وهي مصطلح أدبي لنمط شعري ، نشأ في العصر الاموي ، وهي معارك دارت رحاها بين عدد من الشعراء .

جاء في لسان العرب أنَّ النقائض لغة جمع نقيضة من نقضَ البناء إذا هدمه ، والحبل إذا حله ، وضده الإبرام يكون للحبل العهد ، وناقضه مناقضه : خالفه والمناقضة أن يتكلم بما هو ضد معناه ، والمناقضة في الشعر أَنْ ينقض الشاعر ما قاله الاول فيجيئ بغير ما قاله ، ولذلك قالوا : نقائض جرير والفرزدق [2] .

اما اصطلاحاً فالنقيضة هي اتجاه شاعر ما الى شاعر اخر لألقاء قصيدة فيرد عليه الشاعر الثاني فينقض كلامه بالاسلوب نفسه وهذا النقض يكون نقطة نقطة ، سواء كان هجاءً او فخراً أو رثاءً او سياسة وتكون هذه النقيضة ضمن كلام و واسلوب بذيء يغلب عليه طابع الاستهزاء والسخرية وإظهار العداوة وشاعر النقيضة يقف موقفاً راداً على الشاعر الاول وهو خصمه في محاولة منه لدحض رأيه وهجائه ، وهذا يكون بداعي الرد والاقحام [3] .

---

(1) ينظر : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، د – احمد كمال زكي ، دار الفكر ، دمشق ، د – ط د – ت / 269.

(2) ينظر لسان العرب / نقض .

(3) ينظر : تاريخ المعارضات في الشعر العربي ، د – محمد محمود قاسم ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1983 / 14 – 15 .

كان حارثة بن بدر يعالج في شعره مسائل تعترض حياته ، فكان يتعرض لموجات من النقد لتعاطيه الخمرة ، وهو كان يتعرض لقصائد أَنس بن زنيم [1] ، إذ إنَّ الغداني اتخذَ من الشعر سلاحاً له ليصد به تلك السهام .

إن هذه المناقضات شكلت للغداني جانباً مهماً وبارزاً في حياته وإن قصرت هذه المناقضات ، وهذه المناقضات تتولد عند الغداني في لحظة ما وتثير انفعاله موقتاً، وهذا سبب قصر هذه المناقضات والتي كان يلهبها عبيد الله بن زياد ، لأَنَّه كان يطلب منهما الرد وبالقوة في بعض الاحيان ، وعبيد الله كان يقرب حارثة أَكثر من أَنس وهذا هو سبب الهاب روح المناقضة والخصومة بينهما وزادت من مشاعر الحقد والكراهية بينهما ، اما ألفاظ هذه المناقضات لا تبتعد عن اللوم والهجاء [2] .

حارثة الغداني وأَنس بن زنيم كانا في مرحلة ما قد توقفت الحرب بينهما ، الى ان جاء سلم بن زياد وأُنتخب من أهل البصرة والكوفة فأرسل سلم الى انس يعرض صحبته ، لكن أَنس كتب الى عبيد الله يستشيره في هذا الامر فقال أنس : [3] من الطويل

ألم ترني خيَّرت والامـــرُ واقــعٌ ... فما كنـــت لما قلـــت بالمُتخـــيَّر
رِضاك على شيءٍ سواهُ ومن يكـن ... إذا اختار ذا حزمٍ من الامر يظفـر
فعُدت لترضى عن جهادٍ وصاحـبٍ ... شفـــيقٍ قديم الـــودَّ كان موقَّـــري
على احد الشَّغرين ثـــم تركـــته ... وقد كنت في تأمـــيره غير مُمتري
فأمسكتُ عن سَلْم عناني وصحبتي ... ليعرف وجـــــه العُذِر قبل التعــذر

(1) انس بن زنيم بن عمرو بن عبد الله الكناني الدئلي شاعر من الصحابة ، نشأ في الجاهلية ولما ظهر الاسلام هجا النبي (ص) فأهدر دمه ، فأسلم يوم الفتح ومدح الرسول (ص) بقصيدة فعفا عنه ، عاش الى ايام عبيد الله بن زياد ، وكان عبيد الله يحرش بينه وبين بعض الشعراء ، معجم الاعلام للزركلي ، ج1 / 365 .

(2) ينظر : شعراء امويون ،2 / 331 .

(3) ينظر : الاغاني ، 8 /390 .

لما وصلت الى عبيد الله قرأها ودفعها لحارثة ، فطلب منه إبن زياد أن يرد على إبن زنيم ، فقال حارثة [1] : من الطويل

ألِكني إلى منْ قالَ هذا وقـــلْ لـــهُ كذبـــتَ فما إنْ أنتَ بالمتـــخيرِ
وإنكَ لو صاحبتَ سلمـــاً وجـــدتهُ كعهدكِ عهدَ الســـوءِ لم يتغـــيرِ
أتنصح لي يوماً ولســـت بناصـــحٍ لنفـــسك فاغشُش ما بدالك أو ذرِ
كذبت ولكن أنتَ رهـــنٌ بـــخزيةٍ ويـــومٍ كأيـــامِ عـــبُوس مُـــذكرِ
كأشقرَ أضحى بينَ رُمحينِ إن مضى علـــى الرُّمح ينحرُ أو تأخرَ يُعقـرِ

هذه المقطوعة التي قالها حارثة أعجبت إبن زياد فقال عنها ((لعمري لقد اجبته، فعرض إبن زياد المقطوعة على أنس وكان يعتقد بأنَّ إبن زياد هو من كتبها ، فأجابه أَنس رد عليَّ من لا استطيع جوابه ، وعندما خرج رآه احد اصحابه فقرأ القصيدة فقال له : هذا شعر من قول الغداني)) [2] .

في هذه المناظرة بين الشاعرين والتي ألهبها إبن زياد ، يرد حارثة بن بدر على أَنس ، بعد أَنْ عرض سلم بن زياد الصحبة للأَخير واراد توليته على احدى الكور ، فكتب إبن زنيم هذه القصيدة لعبيد الله بن زياد يطلب منه رأيهُ ، فلما وصلت عبيد الله قرأها وأَمر حارثة بالرد عليه ، وفي رده على إبن زنيم يحاول حارثة القفز على حساب إبن زنيم ، لينال حظوة عند الأَمير ، والأَمر ذاته يريده إبن زنيم، وهذا السباق بينهما اوصلهما لمعركة التناقض والتعارض ونعت احدهما للأخر بصفات كثيرة وهذا الامر أراح إبن زياد ، لأَنَّه وجد فيه تسلية له ، فالشاعران يتقاتلان بسلاح الشعر والامير يرقص طرباً لهذا السجال وكلاهما يمطر الاخر بأقبح الصفات واشدها .

حارثة في مقطوعته هذه يوجه سلاح الهجاء لأنس ، التي أظهر بها عيوب أنس ومساوءه ، بعد أَنْ اراد سلم صحبته وحارثة عارضه بشدة واطلق سهامه التي اوجع بها انس بصفات كثيرة ومنها (الكذب والسوء والغش والخزي)

(1) شعراء امويون ، 2 / 352 .
(2) الاغاني ، 8 / 391 .

في موضع اخر من مواضع التناقض والتعارض بين حارثة وإبن زنيم نجد أنَّ المحرك لهذه المعركة بين الطرفين هو عبيد الله ، فتقريبه لحارثة دفع أَنس لعتاب إبن زياد ، مما دفع إبن زياد على إجبار الغداني على جوابه [1] ، فقال فيه حارثة[2] : من المتقارب

تبدلتُ من أَنـــــسٍ إنَّهُ كـذوبُ المودِة خوَّانُها
أراهُ بصيراً بضرِّ الخليلِ وخيرُ الاخلاَّءِ عُورانُها

فأجابه أَنس فقال [3]: من المتقارب

إنَّ الخيانةَ شرُّ الخلـــــيلِ والكــفرُ عندكَ ديـــوانـُـــها
بُصرتُ بهِ في قديمِ الزمانِ كــما بصرَ العيـــــنِ إنسانُها

فأجابه حارثة بن بدر فقال [4] : من المتقارب

ألكنـــــي إلـــى أنسٍ إنَّهُ عظيمُ الحواشِة عندي مَهيـــبْ
فما أبتغي عثراتِ الخليلِ ولا أبغـــينَ عليــهِ الوثـــوبُ
وما إنْ أرى مالهُ مغنماً من الدهرِ إنْ اعوزتني الكسُوبُ

فقال أَنس [5] : من المتقارب

أحارِ بن بدر وانت امـــرؤٌ لعمـــــري المتاع إلى الحبيبُ
متى كانَ مالك لي مغنـــماً من الدهر إن أعوزتني الكسوبُ
وشرُّ الاخلاءِ عند البـــــلاءِ وعنـــد الرَزيةِ خِل كـــــذوبُ

(1) ينظر : الأغاني ، 8 / 388 .
(2) شعراء امويون ، 2 / 365 .
(3) الاغاني ، 8 / 389 .
(4) شعراء امويون ، 2 / 336 .
(5) الاغاني ، 8 / 388 .

يستمر حارثة على النمط نفسه في هجائه لإبن زنيم فهو يصفه بأَنَّه الكاذب الناكر للمودة والصحبة فهو في نظره بصير يبحث عن زلات اصحابه ويعطي صفة الخليل والصاحب للذي لا تقع عيناه على خطأ صاحبه .

يرد عليه إبن زنيم بأن ما يسوء ويشوش الصحبة الجيدة هي خيانة الخليل لخليله ، فحارثة في نظر إبن زنيم (خائن وكافر) للصداقة وردّ على حارثة بنفس كلامه ، فحارثة نعته بالخائن الباحث عن زلات صاحبه فرد عليه إبن زنيم بالمثل.

تبقى المعركة مفتوحة بين الطرفين إذ يردّ عليه حارثة بمقطوعته الثانية ، لكنّه يُخفف من حدة وضراوة سلاحه الموجه لخصمه إذْ نعته بصفة القرابة والمهابة ، وإنَّه لا يبحث عن أخطاء وزلات صاحبه ، وإنَّ أَموال صاحبه هي غنيمة له يستعملها إن اصابه الدهر في ضائقة واشتدت حاجته للمال .

أما إبن زنيم في مقطوعته الاخيرة التي ردّ فيها على حارثة بقي على النمط نفسه في هجومه على حارثة ، إذْ يناديه بانك تبحث عن زلات الحبيب ، ثم يسأله عن ماله وهل هو في حاجته إن ضاقت عليه الدنيا ، وفي الشدائد تبرز الصحبة الجيدة وتمتاز عن السيئة ، وفي الافراح نجد هذا الصديق مخادعاً خبيثاً .

في هذه المناظرة القوية بين الطرفين التي اشعلها إبن زياد نجد الشاعرين يمطران بعضيمها بصفات سيئة وهذا ديدن إبن زنيم ، إذ استمر من بداية الكلام الى نهايته يهاجي حارثة وينعته بصفات كثيرة اما حارثة فلا يقل شأناً عنه الا إنه في مقطوعته الثانية قد خفف من هجومه على إبن زنيم .

3- المديح

يُعدُّ المديحُ من أهم الاغراض الشعرية منذ القدم ، وعني العرب به ((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الاطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعن في الاعراس . وتباشر الرجال والولدان لأَنَّه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحاسبهم ، وتخليد لمأثرهم ، واشادة

احسابهم بذكرهم)) [1]، ويقول ابن رشيق ((إن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به ، مثلما يضع من قدر الشريف اذا أتخذه مكسباً)) [2] .

يعد فن المديح من الفنون الشعرية القديمة التي عرفها الانسان لأَنَّه كان مرتبطاً بأكثر الطقوس التي يمارسها ، ولأَنَّه من يوطد العلاقة بين الناس [3] .

المدح أيضاً ((ثناء حسن يرفعه انسان ما الى انسان أخر او جماعة اخرين أحياء ، عرفاناً بالجميل ، أو طلباً للنوال ، او رغبة في الصفح والمغفرة ، او أملاً في تحقيق هدف كبير)) [4] .

المدح أيضاً ((هو تعداد لجميل المزايا ووصف للشمائل الكريمة ، واظهار للتقدير العظيم ، الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا)) [5] ، فهو ذكر صفات جميلة وحسنة في الشخص الممدوح وقد يعجب الشاعر بشخص ما فيعبر عن إعجابه بذكره صفات هذا الشخص .

المدح أيضاً هو ((الغرض الثاني من اغراض الشعر الغنائي وفيه يعبر الشاعر عن أعجابه بما في شخص أو جماعة)) [6] .

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبد القادر احمد عطا ، دار الكتب العلمية ' بيروت ، 2001 ، 1 / 70 .

(2) المصدر نفسه ، 1 / 46 .

(3) ينظر : تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د.نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم ، د.مصطفى عبد اللطيف ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د– ط ، 1979 /216.

(4) بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي ، د – وهب رومية ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، د ط ، 1997 / 20 .

(5) فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، أحمد ابو حاقة ، منشورات دار الشرق الجديد – بيروت / ط1 ، 1962/ 5 .

(6) الادب ، تعريفه – انواعه – مذاهبه ، د– انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 / 35 .

أَما موضوعات قصيدة المدح لشعراء الجيل الاول ، فكانت تأتي بحسب أَهميتها وقيمتها من حسن للجوار ، والقوة والكرم والنسب ، والعفو عن المسيء ، وذم الغيبة والنميمة [1] .

عند ظهور الاسلام في حياة الناس ، وخروجهم من عبادة الاصنام الوثنية وحياتهم المادية الى التأمل في روح الاسلام وتعاليمه وطقوسه والرجوع في كل شيء الى الله سبحانه وتعالى وكتابه ونبيه (صلى الله عليه وآلهِ وسلم) ، وفرض الاسلام أُموراً لم يكن يألفها الناس من صلاة وزكاة وصوم ، هذا كله كان من الطبيعي أَنْ يؤثر تأثيراً واضحاً على العرب [2] .

مع مجيء العصر الاموي ، اصبح المديح عملاً ومكسباً مدراً للشعراء ، وهذا كله بسبب نشوب الحروب السياسية ونشوء الاحزاب وشدة الصراع على الحكم ، فلكل حزب شاعر [3] .

كان زعماء الاحزاب يعرفون ما للشعر من عظيم أَثر بالغ في نفوس ومسامع الناس ، فأخذوا بالإغداق عليهم من كل انواع الهدايا والهبات [4] ، والسبب في هذه العناية ترجع الى إِنهَّم وجدوا في شعراء المديح من يثبتون حكمهم بتأييدهم للسياسة التي ينتهجونها ، في وقت هم بحاجة لتأييد الناس .

في العصر الاموي إِزدهر فن المديح ، واصبح يحتل منزلة عاليه بين فنون الشعر العربي ، لأَنَّه يمثل الدعامة الاساسية لنشوء واستمرار وازدهار كل حزب،

(1) ينظر : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي / 35 .

(2) ينظر : التطور والتجديد في الشعر الاموي / 11 .

(3) ينظر / الادب وتعريفه – انواعه – مذاهبه / 35 .

(4) ينظر : الشعر السياسي من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى نهاية العصر الاموي ، حبيب مغنية ، دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت ، 2009 / 111 .

ولاسيما إذا علمنا بأن الانسان العربي ذا خاصية في تذوق الموضوع الشعري والاحساس به لأنه شديد التأثر به ويهتم كثيراً بما يقوله الناس فيه [1] .

كان حارثة بن بدر كان من الشعراء المادحين للأمراء ويذكر المؤرخون إنَّه كان حظياً عند زياد وكان يحتمله ويعلم تناوله الشراب واقترافه المفاسد ، وكان يغدق عليه كثيراً [2] ؛ لانه كان يشرب الخمر مثله ، فلا غرو انه كان مداحاً له ، شاكراً أنعمه وفضائله ، وهذا ديدن كثير من الشعراء .

كان حارثة هنا في وصفه لزياد في هذه الأبيات لا تجده متملقاً ، فيقول فيها[3]: من الوافر

ألا منْ مُبلغٌ عـــــني زيــاداً فنِعـــمَ أخو الخليفةِ والاميرِ
فأنتَ امامُ معدلــةٍ وقـــــصدٍ وحزمٍ حينَ تحضرك الامـورِ
أخــوكَ خليفةُ الله ابن حَــرْبٍ وانـــــتَ وزيره نعْمَ الوزيــرِ
تصيب على الهوى منه وتأتي مُحبـــــك ما يُجنُّ لنا الضميرِ

لكن شاعرنا لم تغب عنه الاوصاف التي كان الشعراء يصفون بها ممدوحيهم في جودهم وشجاعتهم وذكائهم وحزمهم وعدلهم وحسن تدبيرهم ، فيصفونهم بالبحر و الغمام في الجود وبالليث في الشجاعة وبأياس في الذكاء ، والعقل الراجح في التدبير فيمدح زياد بالامام والوزير العادل هو واخوه ، إذ إن المعاني الأسلامية غلبت على المعاني الجاهلية .

بعد ان تناولنا مدحه لزياد ، وهو مدح شكران نجده في مقطوعتين يمدح سعيد بن قيس الهمداني الذي أجاره بعد أنْ أهدرَ الامام علي (كرم الله وجهه) دمه ،

---

(1) ينظر :في الشعر الاسلامي والاموي ، د – عبد القادر القط ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، د ط ، د – ت / 276 .

(2) شعراء امويون ، 2 / 326 .

(3) م . ن ، 2 / 344 ، 345.

فيقول[1] : من البسيط

اللهُ يجزي سعيدَ الخيرِ نافلةً أعني سعيدَ بن قيسٍ قرمَ همدان ِ
أنقذني من شفا غبراءَ مُظلمة لولا شفاعـــتُهُ ألبستُ أكفاني
قالتْ تميمُ بن مرٍّ لا نُخاطبهُ وقد أبتْ ذلكم قيس بن عيلان ِ

هذا المدح من باب الشكران لصاحب الفضل جاء لمن أنقذه وافرغ روعه ، باهتاً لا حرارة فيه ، لأنَّه لم يتوسع في اظهار شمائل الممدوح وخصاله فلم ينعته ويمدحه بغير العفة ، اما قوله : [2]

إني تداركني عفٌّ شمائلُهُ آباؤهُ حين يُنمى خيرُ قحطانِ

هنا يقول أَنَّ سعيداً مرفوع ومشرف بآبائه واجداده فهو مدح ما بعده مدح ، لأنَّ الانسان يرتفع بنفسه وفضائله لا بغيره ثم ننظر الى البيتين الاخيرين ، إذ يقول : [3]

ينميه قيسٌ وزيدٌ والفـــتى كربٌ وذو جبائـــر من أولادِ عُثمان
وذو رُعينٍ وسيفٍ وابن ذي يزن وَعلقم قَبْـــلهم أعني ابن نبهان

ملأ البيتين بكثرة الاسماء وكأنه يؤرخ لأباء الشاعر وأَجداده .

في الابيات القادمة نراه يكمل ما بدأه في مدح سعيد بن قيس في موضع مختلف ، فهو فرح ومسرور، لأن الإمام علي (عليه السلام) قد عفا عنه بشفاعة هذا الرجل فيقول[4]: من البسيط

لقد سررتُ غداةَ النـــهر إذ برزتْ أشياخُ همدان فيها المجدُ والخيرُ
يقودهم ملـــكٌ جـــزلٌ مواهبـُهُ واري الزناد لدى الخيرات مذكورُ
أعني سعيدَ بن قيس خيرُ ذي يـزن سامي العمِاد لدى السلطانِ محبورُ
ما أنْ يلين إذا ما سيـــم منقصـة لكن له غـــضب فيها وتنكيـرُ
أغرَّ أبلـــجٌ يستُسقى الغمامَ بـهِ جنابُه الدهرَ يضحُي وهو ممطـورُ

(1) شعراء امويون ،2 / 365.
(2) م – ن ، 2 / 365 .
(3) م – ن ، 2 / 365 .
(4) م – ن ، 2 / 348 .

لقد قال هذه المقطوعة ، حينما أَراد حارثة الانصراف الى البصرة بعد أَنْ عفا عنه الإمام (كرم الله وجهه) ، فشيعه سعيد بن قيس في ألف راكب وحمله وجهزه [1]، فهو هنا مدح من أَنقده وتشفع له عند الامام (كرم الله وجهه) .

فهو هنا يختلف في مدحه عن المقطوعة الاولى ، فهذه الابيات كلها مدح وثناء وتفخيم لسعيد بن قيس أَحد شيوخ همدان ، وذكر صفات لسعيد منها ملك جزل ، واري الزناد ، سامي العماد ، أغر ابلج ، هذه صفات تدل على صدق المادح وتوافر هذه الصفات في الممدوح .

إنَّ استعمال هذه الصفات يدل على أَنَّ الشاعر ذو ملكة شعرية جميلة رائعة ولاسيما أنَّ سعيد بن قيس لم يقف عند الشفاعة والتوسط له ، لكنه أكرمه اكراماً قوياً من العطايا ، فهذه الصفات قالها قد تكون موجودة في هذا الشخص الممدوح او من اجل اعلاء شأنه .

نخلص مما سبق الى أنَّ حارثة الغداني في مدحه لسعيد قدم صورة صادقه لمشاعره عبر فيها عن صدقه واخلاصه له .

في موضع آخر نراه ينحى منحاً اخر ، إذْ ينتقل الى المدح التكسبي ، فيعود مرة اخرى لمدح الأُمراء ، فيمدح في هذه المقطوعة الوليد بن عبد الملك فيقول[2]:
من الطويل

وما احتجبَ الألفان إلا بهيَّنِ ... هما الآنَ أدنى منهما قبل ذالِكا
فجُدِّ بهما تفديكَ نفسي فإنني ... مُعـــــلَّقٌ آمالي ببعضِ حبالِكا

نجد أَنَّ رائحة المدح تبرز من هذين البيتين ، وهو مدح تكسبي ، غايته أستحسان رضا الوليد من أجل كسب اكبر عدد من العطايا ، فالشعراء لهم اساليب عديدة في نيل رضا الامراء والملوك عنهم ، ومنها الدعوة لهم والتهنئة بالفوز والمدح بصفات موجودة أَو غير موجودة في الممدوح ، والمهم في كلّ هذا عند الشاعر أَنْ

(1) شعراء امويون، 2 / 347 .
(2) م – ن، 2 / 357 .

يصل الى غايته وهو الكسب من الممدوح فشاعرنا الغداني لا يكتفي بما حصل عليه من الوليد ، بل يريد المزيد ولم يكتفِ الا عندما حصل على غايته من الاجروهي الالفين ، ويبدو إسلوب الاستعطاف واضحاً ونفحة الاستجداء والطلب والتذلل وهذا إسلوب اغلب الشعراء ، من أَجل الحصول على غايتهم .

شاعرنا الغداني نراه في بيتين جديدين ، يمدح فيهما شخصاً ، وقد أَسرف الشاعر في مدحه لهذا الشخص وحين يشيد شاعرنا بأصالة الممدوح وعراقته فأَنَّه أجاد في التركيز على معاني المديح ، إذ يقول [1] من الطويل

هو الشمس الا أَنَّ للشمس غيبةً وهذا الفتى العمريَّ ليس يغيبُ
يروح ويغدو ما يُفــتَّر ساعــةً وإن قيل ناءٍ منك فهو قــريبُ

الممدوح هنا قد يكون من الاعيان لأَنَّ هكذا مدح لا يوصف به إلا من لديه مكانة مرموقة ، وهذا المدح من أَجل ارضاء هذا الشخص والحصول على شيء أو قد يكون قريباً الى نفس الشاعر فتشبيهه بالشمس وأَنَّه لا يغيب وهو موجود في كلَّ وقت إنَّه قريب منك كلما إحتجته وليس بعيداً ، الشاعر أجاد في وصف ممدوحه بهذه الصفات الجميلة والمعاني المؤثرة في النفس والتشويق لمعرفة الممدوح .

في مقطوعة أُخرى نرى الغداني قد أمتدح شخصاً من قريش كان نديماً له وكان لا يفارق الغداني إذا شرب فقال [2] : من الطويل

وأبيضَ من اولادِ ســـــعدٍ بن مالك سقيتُ من الصهباءِ حتى تقطَّرا
وحتى رأى الشخصَ القريبَ بسكرة شخوصاً فنادى يال سعدٍ وكبرا
فقلتُ أسكرانٌ ؟ فـــقال مكـــابراً أبـــى الله انْ استخف واسكرا

من الواضح ان صاحبه ونديمه ليس معاقراً للخمرة ، شديد التحمل لأهوالها ، وما هو بالمدمن لها مداوم لشربها ، والا فكيف من يعشق الخمرة ويحسوها بنهمٍ يكرهها . وأن اكثر منها ، وكيف لمعاقر لها حين أحتسائه إياها أن تتلاعب بعقله

(1) شعراء امويون، 2 / 337 .
(2) م – ن ، 2 / 349 .

فيصبح كالمعتوه الشارد الفاقد يرى الواحد زرافات ، فهو ممن تتمايل أعطافهم وعقولهم باحتسائها ويفتضح امرهم وسرهم بسببها .

حتى إن الشاعر يتوسل اليه أن يهدأ قليلاً ويخلد الى النوم ثم له أن يُعاود الشراب إن اراد فيقول :

فقلت له نم ساعة علَّ ما أرى من السكرِ يبدي منك صرماً مذكرا

وذكر ايضاً وصفاً للخمرة، وهو معنى سام وجرسٍ موسيقي عذب حينما قال: من الطويل

فقلت له أشربْ هذه بابليَّةٌ تخال بها مِسكاً ذكياً وعنبرا

فقد نعت الخمرة بما هو لها من مدح وصفة ، فهذه خمرة بابيلة تبرز فيها رائحة المسك والعنبر في شد تعتيقها [1] .

نراه في مقطوعه اخرى يمدح سليمان بن مرثد الذي أكرم حارثة وانزله هو وأَصحابه ومدحه بقصيدة ، فأجابه حارثة بقصيدة أكد في مدحه لسليمان وقومه على خصلتين هامتين وهما (الكرم و الصدق) إذ يقول [2] : من الطويل

وأسحم ملآنٍ جررتُ لفتيةٍ كرامٍ أبوهمُ خيرُ بكرِ بن وائلِ

وأطولهم كفَّاً وأصـــدقهم حياً وأكرمُهُم عند اختلافِ المناصلِ

--- ---

فحسبك بي علماً بهِ وبفضلهِ إذا ذُكَرَ الأقوامُ أهلُ الفضـــائلِ

بعد قيامه بإكرام ضيوفه ، وتقديم ما لذ وطاب لهم ، قام بمدحهم ، ثم إنِّه يفخر بنفسه وهو يرتشف الخمرة مع هؤلاء الضيوف .

هو يرى أَنهَّم قومٌ كرماء إذْ يقول (واطولهم كفاً) وهي كناية عن الكرم ، وفي هذه الابيات صدق واحساس بالعرفان إذ ان الشاعر مطوق بالعرفان ، وهذه

(1) سليمان بن عمرو بن مرشد وهو من أعيان الاهواز نزل به حارثه واصحابه فأكرمهم وكساهم فقال فيه حارثة شعراً على صنيعته معه / ينظر : الأغاني ، 8 / 402 .

(2) شعراء امويون ، 2 / 360 ، الاسحم : زق الخمر .

المقطوعة ليس فيها من الفصاحة والقوة التي تجعلك تهتز أعجاباً بها ، وتأسر لبك منتشياً فهو لم ينطلق عن أحساس عميق صادق .

نخلص من كل هذا الى إنَّ حارثة الغداني في مديحه ، قدم لنا صوراً متنوعة وكان اغلبها مدحاً لشخصيات وأُمراء ، منها مدحه لأَبن زياد ومدحه لسعيد بن قيس ومدح الوليد بن عبد الملك ، وهناك مقطوعات لمديح شخصي مبالغ فيه ، ولديه مقطوعات كان مديحه قائماً على أَساس التكسب من أجل نيل الجوائز والعطايا بل وحتى وصل به الامر في مقطوعة الى الاستعطاف والاستجداء ، وقد اعتمد في مدحه في مقطوعة واحدة على الصدق والكرم .

اما الخمر فهو الجانب الابرز في شعره ، لأَنَّه اَشتهر بالخمرة وشربها ، وتعييره ومعاتبته من قبل أَلناس وخاصة الأَحنف بن قيس ، وحارثة سار على منهج القدامى في ذكر الخمرة واوصافها ، فكان لها حضور في قصائده ومقطعاته .

أَما نقائضه وخاصة مع إبن زنيم ، فقد كان شاعراً يعالج ما يعترضه من مسائل في حياته ، إذ إنهَّا كانت تثيرها انفعالات مؤقتة يسببها له إبن زنيم ولهذا السبب كانت قصيرة وكانت معانيها تدل على العتاب واللوم ، وسبب هذه المناقضات كان عبيد الله بن زياد الذي كان يلهب نار الشعر بينهما .

المبحث الثاني

الموضوعات الثانوية في شعره

1- الهجاء والذم

الهجاء فن من الفنون الشعرية العريقة التي تناولها الشعراء في عصورهم الادبية وهو على معنيين منها ما هو لغوي ، وهو كما ورد في المعاجم العربية، هجا هجواً أو هجاءًا : شتمه بالشعر وهو خلاف المديح [1] ، ومنها ما كان اصطلاحاً وهو ((وصف الشخص او القبيلة او الحزب بما يتنافى مع العدل والمروءة ، وعرب الجاهلية كانوا يتطيرون ويتشاءمون من الهجاء ، لذلك كانوا يتحاشون هجاء الشاعر ، كي لا يصيبهم ما صبه الشاعر من لعنات)) [2] ، وأيضاً هو فن من فنون الشعر ((يصور عاطفة الغضب او الاحتقار او الاستهزاء وسواء ذلك ان يكون موضوع العاطفة هو الفرد او الجماعة او الاخلاق أو المذاهب)) [3].

الهجاء تصوير لحالة الغضب التي يعيشها الإنسان ، وهو أيضاً ذكر الشخص بعيب قد يكون في شكل الانسان وخلقته ((واجود ما في الهجاء أَنْ يسلب الانسان الفضائل النفسية ، وما تركب من بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم .....)) [4] ، ((وأَشد الهجاء ما أَصاب العرض ووقع على النكتة)) [5] وهذا اشد انواع الهجاء لأَنَّه يقع في اعراض الناس .

---

(1) ينظر : لسان العرب ، مادة هجو .

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان ، ط2 ، 1984 / 422.

(3) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، د . محمد محمد حسين، دار النهضة العربية ، بيروت/ ط3 ، 1973 / 12 .

(4) العمدة ، 2 / 122 .

(5) م – ن ، 2 / 123 .

أما قدامة بن جعفر فيعرف الهجاء بقوله)(الهجاء ضد المديح فكلما كثرت اضداد المديح في الشعر كان اهجاله)) [1] فالشاعر يقف مُعدداً معايب خصمه ومحاولاً الانتقاص منه والتأكيد على المثالب وهذه كلها قيم تقف ضد المديح .

فن الهجاء هو من الفنون التي أَوجدتها المنافسات القبلية على مياه الغدران والمراعي ، كما أوجدته الحروب المستمرة بين القبائل وبطونها وغصونها [2] .

الشاعر القديم كان يدافع عن قبيلته أَولاً ، وشخصيته تقف خلف الشخصية القبلية التي ينتمي اليها ، لذلك نجد اكثر الهجاء دوافعه قبلية [3] ، في العصر الجاهلي كانت صور الهجاء بسيطة ، إِذْ إِنَّه كان فناً غير معقد يقف عند أفكار الجبن والثأر والبخل .

اما في الاسلام فكان الهجاء الاسلامي اقذع وكان اغلب الهجاء بالمعايب الاخلاقية والجسمية .

أَما في العصر الأَموي فأستقرار القبائل في مدينتي البصرة والكوفة ، وعودة الاحزاب السياسية والتحزبات ، وأَخَذتْ القبائل تجتمع حول الشعراء في المربد ، فنشأت الخصومات بل إن هناك هجاء شخصي وهجاء سياسي وهجاء قبلي[4].

ذكَر أَبو هلال العسكري أَنَّ الهجاء إذا لَمْ يكن يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ويبت الصفات المستهجنة التي تختصها ايضاً لم يكن مختاراً ، والاختيار أَنْ يذهب المهجو الى اللوم والبخل والشر ، وليس المختار في الهجاء أَنْ

(1) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تح محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت / 44 .

(2) ينظر : التطور والتجديد في الشعر الاموي / 162 .

(3) ينظر : العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي ، د. أحسان النص ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، د ط ، 1974 / 495 .

(4) ينظر : التطور والتجديد في الشعر الاموي / 162 – 163 .

ينسب الى قبح الوجه وصغر الجسم [1] .وقد أفرد له العسكري باباً من أَبواب الشعر في كتابه .

أَما صور الهجاء في العصر الأَموي اختلفت عما كانت عليه في العصر الجاهلي وعصر الدعوة الاسلامية ، إذْ إِنَّه اصبح ينشد يومياً واصبح مهنة أَو حرفة ووسيلة لقضاء الوقت واضحاك الناس ، وأَقوى انواعه كان الهجاء السياسي واختلف صوره وتعددت ، لأن خلفاء بني أُمية وامراءها هم من ساعد على ظهوره وانتشاره[2].

الهجاء هو تعبير الشاعر عما يجول في نفسه نحو شخص من الاشخاص أَو جماعة قد صدر منهم موقف لا يحبه الشاعر أَو يرضاه أَدى ذلك الى أَلمَهُ ، فيخفف عن نفسه عما لحقه من أَلم وهذا التخفيف يظهره بالشعر وإِيذاء المقابل بالكلام ، فهو يصدر عن عاطفة وله انواع منها السياسي وهو الموجه ضد الحكام والسياسيين ، والهجاء الديني الذي حارب من يهاجم الاسلام والهجاء الاجتماعي الذي ينقد الحياة الاجتماعية والفوارق الطبيعية بين الناس [3] .

وهناك هجاء نفسي أو ذاتي أي ان الشاعر يُعاني من عُقدة نفسية أَو عدم مقبولية من المجتمع فيلجأ الى الهجاء كوسيلة للأنتقام من المجتمع ككل .

إنَّ اغلب المقطوعات الشعرية التي قالها حارثة بن بدر نجدها مع إِبن زنيم ، فتراه مرة في الخمريات واخرى في المناقضة وثالثة يعتذر منه بمدحه وهنا نراه يهجوه

---

(1) ينظر : الصناعتين / 96 .

(2) ينظر : الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام ، د . محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د – ط ، د – ن / 33 .

(3) ينظر : اروع ما قيل في الهجاء ، راجي الاسمر، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1992 / 7 – 11 .

هجاءاً قوياً ، فما يروى عنه انه ((دخل أَنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد وكان عنده حارثة ، وكان بينهما تعارض)) [1] ، فقال حارثة في أَنس : [2] من الطويل

يبيتُ بطـــــيناً من لحومِ صديقِهِ خميصاً من التقوى ومن طلبِ الحمدِ
ينامُ إذا ما الليـــلُ جنَّ ظلامُهُ ويســـري الى حاجـــاته نومةَ الفهدِ
يراعي عذارى قومه كلما دجا له الليلُ والســـــوآت كالأسُدِ الوردِ
جريئاً على أكلِ الحرامِ وفعلَهُ جباناً عن الاقـــــران مُعترمَ الكردِ

يصف إبن زنيم بالشره ودناءة النفس ، وسوء الخلق وأَنَّه يعيش على غيره ، لاغناء فيه نؤوم كالفهد ، يتلصص على عذارى قومه ويتحين الفرص للإيقاع بهن ، ولا يتردد عن ارتكاب المعاصي وأَكل الحرام ، واقتراف الموبقات فهو جريء عليها لكنه لا يقوى على مقارعة الشجعان فهو جبان يمتص أصبعه خوفاً منهم .

هجاء حارثة في هذه الابيات قد كان هجاء لاذع ، ففي كل بيت وصمة حارقة وميسم لاذع للمهجو ، ونرى أنَّ اجمل عباراته خميصاً من التقوى ومن طلب أَلحمد ، فبطنه فارغة الا من الدناءة ونفسه خاوية من التقوى وطلب أَلحمد .

يستمر حارثة في هجائه لكنَّه في مقطوعة أخرى يهجو سعيداً الرابية ، إذْ دخل حارثة على عبيد الله بن زياد وكان سعيدٌ عنده وسعيد هذا شرير يضحك ابن زياد ويلهيه ، حتى أَنَّ الفرزدق يقول فيه [3] : من البسيط

إِنَّي لأبغضُ سعداً إِنْ أجاوره ولا أحبُ بني عمرو بن يربوعِ
قوم إذا حاربوا لم يخشهم أحد والجار فيهم ذليلَ غير ممنوع

(1) الاغاني ، ج8 /404 .
(2) شعراء اموبون ، 2 / 343 ، خميصاً : الجائع الضامر البطن / لسان العرب / خمص .
(3) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له ، علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ط1 . 1987 / 367 ، وسعيد هذا من بني يربوع من تميم وهم قوم جرير وهو سعيد بن سعيد من بني يربوع .

فَسألَ سعيدٌ حارثة سؤالاً فأَجابه ، ومن ثم ردّ عليه حارثة بسؤال فلم يجبه وحدث بينهما جدال [1] ، فهجاه حارثة فقال فيه: من الطويل

لا ترجُ منّي يا بنَ سعدٍ هــوادةً ولا صـــحبةً ما أرزمتْ أُمُ حائِلِ
أَعِندَ الامير ابن الامير تعـيـبني وأَنت ابن عمرو مضحك في القبائل
ولو غيرنا يا سعد رمـتَ حريمهُ بخسفِ لقد غودرت لحـــقاً لأكلِ
فشالتْ بك العنقاءُ أوصِرتَ لحمةً لأغبسَ عَـوّاءُ العشـيَّاتِ عاسلِ [2]

الشاعر في هجائه سعيداً يبدو قريباً الى العتاب ، وأَبعد من الهجو اللاذع ، فهو يلومه ويوبخه لأَنَّه عابه عند الامير واراد أن يُضحك الجالسين عليه ، ففي البيت يبدو مهدداً ومتوعداً لسعيد ولن يجد منه رحمة وصبراً وصداقة ، ماحنت الناقة الى ولدها ، أَنت يا إبن سعد تضحك الناس في القبائل تريد ان تنتقص مني في مجلس الامير ، فيدعو عليه برفع العنقاء له فيمحي اثره ، أَو أَنْ يصير طعماً سائغاً لذئب عسال ، شاعرنا بدأ في هجائه قوياً لاذعاً تناقضياً ، لكنه كان خجولاً في هجائه في هذه الابيات القليلة .

بعد أَنْ هجا إبن زنيم سعيداً الرابية يعود من جديد ليهجو بني سليط التي كانت تروي هجاء شخص اسمه العكمص الذي كان يهجو حارثة بن بدر ، وهذا سبب هجاء حارثة لهم ، إذْ يقول فيهم [3] : من الوافر

أراويةً عليَّ بنو سليط هجاء الناس يالَبني سليطِ
فما لحمي لتأكله سليطٌ شبيهاً بالذكيِّ ولا العبيطِ

(1) الاغاني ، ج8 / 398 – 399.

(2) شعراء امويون ، 2 / 361 ، ام حائل : كنية الناقة وارزمت / حنت الى والدها ، الاغبس: الذئب العاسل : الذي يضطرب في عدوه .

(3) م – ن ، 2 / 353 ، الذكي ما ذبح تذكية ، والعبيط الذبيحة السمينة الفتية تنحر من غير داء .

هنا يهجو بني سليط ويتهمهم بالنفاق ويتعجب من فعلتهم هذه في نقل الأَخبار ، وغرضهم من هذا الفعل واضح ، لأنهم يريدون من حارثة أنْ يهجو العكمص ، لتتأجج بينهما العداوة ، ويحذرهم بأَنَّه ليس سهلاً ولن يستطيعوا النيل منه وأكل لحمه كما تأكل الذبيحة السمينة ، هنا كنايه عن انه صعب على عدوه ولا يستطيع العدو النيل منه ، وفي هذه الأبيات فيها غضب وحنق وفيها تهديد مبطن لدلالة تكرار عبارة (بني سليط) .

معرض هجائه لبني سليط بارد ويبتعد عن الهجاء الساخر واللاذع ولا نجد فيه تلك الشدة التي تؤذي الخصم .

ثم يعود حارثة في مقطوعة من بيتين يهجو فيها الابيرد الرياحي * ورائحة الهجاء تفوح منهما ، فعندما أرادْ الابيرد الدخول الى الأَمير ، طلب من حارثة ثوبين جميلين يقابل فيهما الامير ، ورفض حارثة أَعطاءه بردين وأَعطاه ثوبين ، لكن الأَبيرد قد هجاه هجاءاً قوياً موجعاً فشبه حارثة بالسحابة الممطرة التي تتحول الى عاصفة ترابية بلا مطر ، وانك يا حارثة خمار مدمن وزياد لا يحاسبك فقال الأيبرد [1] :

أحارثُ أَمِك فَضْلَ يُرديك إنما

أَجاعَ وأَعرى اللهُ من كُنتَ كاسبا

وكُنتُ إذا استمطرتُ منكُ سحابةً

لتُمطرني عادت عجاجاً وساقيا

أَحارثُ عاوِد شُربك الخمر إنني

رأيتُ زياداً عنك أصبْحَ لاِهيا

* الابيرد الرياحي بن المعذر بن عبد عبد قيس الرياحي اليربوعي ، من تميم شاعر فصيح بدوي ، لم يكن مُكثراً ولا مداحاً وكان هجاءاً جيد الرثاء ، ادرك دولة بني امية ، الاعلام للزركلي ، 82/1.

(1) ينظر : الاغاني ، 8 / 419 ، السافي : التراب المُبدد .

فرد عليه حارثة يقول : [1] من الطويل

فإن كنت عن برديَّ مستغنياً لقد أراك بأَسمالِ الملابسِ كاسيا
وعشت زماناً أنَّ أعينَّك كسوتي قنعت بأَخلاقٍ وامسيتَ عاريا
وبردين من حوك العراق كسوتها على حاجة منها لأمَّـــــك باديا

يرد عليه رداً قوياً ويخاطبه بأنك إنْ استغنيت عن لبس ثوبي فهل نسيت نفسك ولبسك الاثواب الخرقة البالية ، وهل نسيت انني كنت اعطيك ملابسي وكنت قنوعاً حتى بالأثواب الخرقة المهلهلة ، فعليك أنْ لا تنسى زمانك القريب وتتطلع الى اعلى ، فأنك كنت تقنع بالملابس البالية ، وهو هنا يعيره بأنه يأخذ ملابس غيره .

إنَّ الهجاء عند الغداني نراه على وتيرتين في مقطوعاته الهجائية فنراه مرة يوجع خصومه بهجاء ساخر ولاذع ، وفي الاخرى نرى هجاءًا لا تشعر في أَنَّه هجاء بل يصيبه الفتور.

أَما موضوع الذم فلم نجد له الا بيتين ((والذم ضد المدح وقد ذمه (وأذم) الرجل أتى بما يُذم عليه)) [2] . أيْ ذكر صفة سيئة في هذا الشخص .

هو في هذين البيتين قد تأثر بكلام رجل من اولاد الحارث بن فهر في امر كرهه عند زياد ، فقال فيه حارثة [3]: من البسيط

لقد عجبتُ وكم للدهرِ من عجبٍ
مما تزيـــــد في أنسابها الخُلجُ
كانوا خساً او زكاً من دون أربعة
لم يخلقوا وجدود الناسِ تعتلجُ

يقف حارثة الغداني موقف المتعجب ، وتعجبه من اولاد الحارث بن فهر وهم يتفاخرون في نسبهم وهذا التفاخر يزيد من عجبه ، وهذا التعجب هو ذم لهم ، فهو

(1) شعراء امويون ، 2 / 366 –367 ، الاسمال : الاثواب الخلقة عينه ، عطاء ، الاخلاق : الثوب المهلهل.
(2) لسان العرب / ذم .
(3) شعراء امويون ، 2 / 344 ، الخلج : هم اولاد الحارث بن فهر ، الخسا : الفرد ، الزكا : الزوج

ذمهم لأَنهَّم تفاخروا في نسبهم وكيف يتفاخرون بنسبهم وهم أَفراد قليلون فقد كانوا فرداً أَو أَكثر منه ، إذ إنَّه يذمهم بقوله أَنهَّم لم يخلقوا والناس تتفاخر بأجدادهم وانسابهم إذ إنه يذمهم بأن نسبهم ضعيف ، هذا الذم كان سببه موقف الرجل عند زياد فأثر في نفسية حارثة الغداني .

2- الرثاء

رثى فلان فلاناً يرثيه رثياً ومرثيه إذا بكاه بعد موته ، فإنَّ مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثيه [1] .

هو من الفنون الأَدبية ، سبيله أَنْ يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والاسف والاستعظام ، إنْ كان الميت ملكاً أَو رئيساً كبيراً [2] ، وهو أيضاً مديح للميت وتبيان مناقبه ومحاسنه وتعداد لسجاياه بأسلوب حزين صادق ينبع أساً ولوعة [3] . إذ إنَّه الثناء على الميت بعد موته ، الرثاء عاطفة من حزن وأعجاب ، وذكر محاسن المرثى ، وما كان يتصف به من شجاعة وكرم ، وصبر وتأبين للميت بذكر محامده .

الرثاء يمثل أَصدق المشاعر الانسانية ، التي يعبر عنها في أصعب المواقف عندما يفقد عزيزاً على قلبه ، لأَنَّ شعره يقال على السجية إذ فجع الشاعر بمصيبة ما ، وإذا كان الشاعر قادراً على تصوير تلك المشاعر الحزينة بصدق كان رثاؤه صادقاً معبراً ، وهذا الشعر يكاد يكون من أَصدق الفنون شعراً ، لأَنَّه صادر من قلب حزين ونفس فقدت شخصاً عزيزاً .

---

(1) ينظر : لسان العرب ، مادة / رثا .

(2) ينظر : العمدة ، 2 / 96 .

(3) ينظر : نقد الشعر / 118 .

أَما الرثاء الذي يصدر من أجل الحصول والفوز بجائزة او منفعة مادية مثل رثاء الملوك والأُمراء ، فهذا يفقد العاطفة الصادقة ويسمى بالرثاء الرسمي [1] ، إذن الرثاء ذكر محاسن الميت وتعداد لمزاياه ومحاسنه وتجاوز عيوبه التي كان عليها في حياته .

إنَّ حارثة الغداني في كلامه عن الرثاء ، تناول الرثاء الشخصي وهو تعبير الشاعر عن حزنه لفقد شخص او صديق او من تربطه رابطه مودة معه، والشاعر في تعبيره عن حزنه هذا يصور صلته بهذا الشخص ويعبر عن شعوره تجاهه [2].

فالغداني له شعر قليل في الرثاء ، له مرثيتان في الاولى رثا ابن زياد وفي الاخرى رثا أَخاه درعاً .

لما مات زياد بن أبيه قال حارثة ابيات في رثائه فقال [3]: من البسيط

صـــلى الالهُ على قبـــر وطهَّرهِ ... عند المكان يســـفي فوقَه المـــورُ
زفـت اليه قريـــشٌ نعشُ سيـَّدها ... فثمَّ كـل التُـــقى والـــبرُّ مقـــبورُ
ابا المُغيـــــرة والدُنيا مفـــجعه ... وان من غرت الدنـــيا لـــمغرورُ
قد كان عندك بالمعروفِ معـــرفة ... وكـــان عـــندك للنكراء تنـــكيرُ
وكنت تُفشي وتعطي المال من سعة ... ان كان بيتك اضحى وهو مهجـور
ولا تلـــين إذا عوســـرت مُقتسرا ... وكل أمرك ما يُوســـرت ميسور
الناسُ بعدك قد خفـــت حلومُهم ... كأنما نفختْ فيهـــا الاعـــاصير
لم يعرفْ الناس مذ غيبّت فتنتهم ... ولـــم يجـلِّ ظلاماً عـنهمُ ونُور

في رثائه هذا لم نجده مفجوعاً ، ولم يبك قلبه دماً ولم يذرف عليه دمعة حقيقية تذيب الصخر ، فلم تخرج كلماته إلا مبعثرة تحمل الكذب والتصنع ، فرثاؤه رصف للألفاظ ليس إلا ، حتى إذا أَراد أَنْ يعلي من شأن صاحبه بالغ في كلامه أيما مبالغة فيها رائحة النفاق ، وتمثل هذا في البيت الأول (صلى الاله على قبره) والله سبحانه

(1) ينظر : الرثاء في الشعر العربي ، د محمد حسن أبو ناجي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، ط2 ، 1402 / 32 – 46 .
(2) ينظر : العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي / 579 .
(3) شعراء امويون ، 2 / 346 .

وتعالى على من يصُلي صلى الله عليك يا رسول الله وعلى آلك الطيبين ، انظر الى قوله :

(الناس بعدك خفت عقولهم) ، هكذا وبكل يسر وبساطة أَصبح الناس بلا عقول أو حلوم بعد موته ، أليس هو هنا قد أهان الناس وإزدراهم ، وهو في هذا البيت يحمل سوءتين : سوءة المبالغة الممجوجة وسوءة الازدراء والاستخفاف بعقول الناس ، ثم انظر الى قوله : (فثم كل التقى والبر مقبور) ، ياللعجب أَيكون من لا يعرف أَباه هو التقى والتدين وهو الاحساس والجود ، وغيره ليس له شيء من التقوى ، بل لا تقي ولا بار قبله او بعده ، وهؤلاء هم المتملقون المتزلفون من ألشعراء لأولياء نعمهم .

وله أيضاً بيت واحد يرثي زياداً فيقول [1]: من البسيط

الصَّبرُ أجملُ والدَّنُيا مُفجَّعة

من ذا الذي لم يجرَّعْ مرة حزناً

بدأ بيته بشيء جميل وهو الصبر الذي يعين الإنسان على نسيان وتحمل الصعاب وخصوصاً المصائب ومنها الموت .

الدنيا تفجع وحزن ومآسي ، فالحزن يدقُ كلِّ الأَبواب والأَيَام حزينة ومفرحة، وهذا معروف بان الايام لك وعليك ، فالغداني لمْ يأت بشيء جديد سوى التكرار وهو في رثائه اقرب الى الحكمةِ وجعل الناس يصبرون على مصائبهم وتجاوز أَحزانهم بالصبر والنسيان .

يمضي شاعرنا في رثائه الذي يبرز شدة جزعه وحزنه لفقد أخيه ، ويجنح الى تهويل الفاجعة فديار بني بدر قد عطلت ، يقف حارثة الغداني وكل آل بدر على أَمر جلل قد أَصابهم ، وهو إِحتراق أَخيه مع ابن الحضرمي [2] ، فهو هنا يرثي أخاه

(1) شعراء امويون ، 2 / 364 .

(2) ينظر: الاغاني : 8 / 387 .

وينهال عليه بالصفات الحسنة ، أذْ إنَّ ديار بني بدر قد عطلت بعده ، وهو هنا يشبهه بالروح التي تحرك الجسد ، فقال [1] : من البسيط

أمستْ ديارُ بني بـــدرٍ مُعطلةً ... من طامـــــعٍ كانَ يغشاها وزوار
يا أيها الشامتُ المُبدي عداوتــه ... ما بالمنـــايا التي عيرتَ من عارِ
تُراك تنجو سليــماً من غوائلها ... هيهاتَ لابُدَّ انْ يسري بكَ الساري
أربعْ عليك فإنـــا معشرٌ صُبَّرٌ ... على المصيـــباتِ قدماً غيرَ أغمارِ

إنَّ ما أصاب بني بدر سيصيب من تشمت بهم ، ولا بُد أنْ يصيبك ما أصابنا، فالمصائب تصيب كل البشر ، وأَنت لم تجرب الامور ، فترى صعاب الأَمور مصائبها .

مما تقدم يتبين إنَّ شاعرنا في رثائه لم يكن صادقاً فالرثاء الصادق يصدر عن نفس حزينة هدتها الفجيعة وألمها المصاب ، فشاعرنا لا نرى في شعره ذلك الإحساس الصادق المعبر عن حزن وألم يعتمر في نفسه ، فرثاؤه لا يؤثر في النفوس وهذا النوع لا يجد طريقه الى السامع ، لأَنَّه بلا إحساس ويكون بارداً وثقيلاً على النفس بقدر ما هو ترويح وتصبير لها .

3- العتاب

عتب عليه ((عتباً وتعاتباً ومعتباً : لامه وخاطبه مخاطبة الادلال ، طالباً حسن مراجعته ومذكراً أياه بما يكره منه)) [2] ، والعتب والعتبان لومك لشخص كان قد أساء أليك .

قال الخليل : (العتاب) : مخاطبة الادل ومذاكرة الموحدة [3] ، فالعتاب غرض شعري يضع الشاعر في موقف حرج وهذا يتطلب منه براعة وجدارة ليجعل عتابه

(1) شعراء امويون ، 2 / 351 ، اربع عليك أي ارفع بنفسك ، وكف أغمار جمع غمر وهو الذي لم يجرب الامور

(2) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بمصر ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 / عتب .

(3) ينظر : لسان العرب / عتب .

متوازناً بين عواطفه وعواطف المعاتب ، ويلجأ الشاعر اليه حينما يكون لديه إحساس بتحول أَحد اصدقائه عن مودته [1] .

إذن العتاب احياناً كثيرة يكون بين الاصدقاء ، وهذا الصديق قد أساء اليك بقصد او غير قصد ، فعتابك هذا تذكر له عسى أَنْ يتعظ ويحسن معاملته لك ، مع التذكر بأَنَّ هذا الأَمر مكروه .

شاعرنا الغداني له شعر في العتاب ، فمقطوعته الأَولى أَنشدها في حضرة عبيد الله بن زياد ، فبعد أنْ وجد الحفاوة والتكريم وإبداء الرأي والمشورة في حكم زياد ، تبدل هذا في حكم عبيد الله بن زياد ، فبعد التكريم وجد التقزيم وعدم الاحترام ، فموقف عبيد الله من حارثة اثر فيه فأصبح حزيناً وهذا ما ترجمه الشاعر الى عتاب لأَبن زياد حينما شاوره عبيد الله بن زياد في بعض الأَمر فقال [2] : من الطويل

أهانَ واقصى ثم ينتصحونني ... ومن ذا الذي يُعطي نصيحتهُ قسرا
رأيتُ أكفَ المُصلتين عليكم ... ملاءً وكفَّـــي من عطاياكم صِفرا
وإني مع الساعي أليكم بسيفهِ ... إذا أحدثَ الايامُ في عظمكم كسرا
متى تسألوني ما عليَّ وتمنعوا ... الذي لي لم اسطع على ذلكم صبرا
رأيتكم تُعطون من ترهبونَهُ ... زريبةً قد وشحْت حلقاً صفـــــــرا

الإهانة والاقصاء والإبعاد عن المجلس أُمور أثرت في نفس حارثة فهو قد تعرض لهذه الامور في ولاية إبن زياد ، فقد اهانه حينما أَخرَه في الدخول اليه لتهنئته ، لكن إبن زياد أَبعده عن مجلسه وأَخره في الدخول ، وبعد هذا كله يطلب ابن زياد منه النصح والمشورة ، لكن شاعرنا يجيبه هل نسيت معاملتك لي وأَنت لا ترغمني إنْ اعطيك نصيحتي بالإكراه والقوة .

---

(1) ينظر : غرض العتاب في الشعر العربي الى نهاية القرن الرابع الهجري ، محفوظ فرج ابراهيم ، مطبعة وجدي الجبوري ، بغداد ، د–ط ، د–ت / 4 – 69 .

(2) شعراء امويون ، 2 / 348 .

إنَّ عطاياك تصل الى الناس وتملأ أيديهم بالهبات والعطايا ولكن عندما يصل الامر لي فأَنَّ يديك فارغة فحصيلة عطاياك لي صفراً ، ولكن مع كل ما فعلته بي فأَنني جندي أقاتل معكم ضد الاعداء ولا اتنازل عن مساندتكم ، فمتى تنظرون الى مطالبي وتصدوا عني الذي لا استطيع مجاراته ، وأَنتم تعطون من تخافونه كلِّ ما يريده منكم .

وفق الشاعر في استعمال عبارات العتاب التي أثرت فيما بعد بعبيد الله بن زياد تأثيراً قوياً، إذْ نجدها من القوة التي إضطرت إبن زياد الى توليته وتعويضه[1]، فلولا عباراته المؤثرة في النفوس لما ولاه ‘بن زياد .

وفي مقطوعة اخرى نرى حارثة بن بدر الغداني يعاتب عبيد الله بن زياد ، بعد ان كان حارثة عند زياد عالي الشأن ومن المقربين له ، فبعد أَنْ تولى عبيد الله الحكم أَخر حارثة لسبب في نفس عبيد الله ، لعلمه أَنَّ حارثة يتناول الشراب بإسراف ، فيحاوره الغداني بأَنَّه كان مكُرّماً من أَبيه مع علم الأَب بتناوله الخمرة فيجيبه عبيد الله بأن اباه كان لا يخاف من كلام الناس وثرثرتهم ، فيعاتبه حارثة قائلاً [2] : من الطويل

وكم من أميرٍ قد تجـــبَّر بعد ما ... مُريـــتْ له الدُنيا بسيفي فدرَّتِ
إذا ما هي أحلولتْ نفي حق مقسمي ... ويقـــسمُ لي منها إذا ما أمرتِ
إذا زبنته عن فُـــواقٍ يـــــريدهُ ... دعيـــتُ ولا أُدعى إذا ما أقرَّتِ

عتاب موجع لأَمير وصف بالتجبر ، ويعد من كبار الأُمراء المتجبرين ، بعد أَنْ اعطته الدنيا ما يريد وذللت له ، وهذه الدنيا الجميلة يسيرها بسيفه كيف يُريد ، ويعطينا جزء من هذه الدنيا بعد أَنْ ذقنا طعم المرارة فيها .

وصف الامير بالمتجبر المتبختر الذي يجلس ويأتي كل شيء عنده بلا تعب ويعطي القليل منها للرعية ، وهنا يبرز العتاب القوي وهو طبيعي ، لأَنَّ حارثة كان مكرماً عند الوالد لكن الإبن عامله بقسوة وشدة .

(1) ينظر : الاغاني ، 8 / 386 .
(2) شعراء امويون ، 2 / 338 .

شاعرنا له في المحاورة قصيدة واحدة ، قالها حينما أَشرف على الموت ، هل لك من شيء تريده ؟ قال أَكسروا رجلَ مولايَ كعبٍ لئلا يبرحُ من عندي فإنَّه يؤنسني ، فنفذوا كلامه ففعلوا وكسروا رجل كعب فقال [1] : من البسيط

يا كعبُ ما راحَ من قومٍ ولا ابتكروا إلا وللموتِ في اثارهم حـــاديَّ

يا كعبُ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ الا تُـــــقرَّبُ آجالاً لميـــعـادِ

لا خيرَ في عيشِ من يحيا وليسَ لهُ ذوو ضغائن لا تُخفى واحـقادِ

وما تَحـــــملَ قـــــومٌ نحو طيتهم الا وللموت في اثارِهم حـــادي

يا كعبُ كم من حمى قومٍ نزلتْ بهِ علىَّ صواعقٌ من زجرٍ وأيعادِ

يا كعبُ صبراً ولا تجزعْ على أحدٍ يا كعبُ لم يبقَ منها غير أجلادِ

هنا حارثة بن بدر في هذه المحاورة ، بدأ وكأنه في أواخر أيامه ، فالإنسان يشعر بالذنوب في هذه الأَيام ، فحين يحس الآثم بدنو أجله ، يكتنفه الندم ، وتأخذه الرعدة وترتعد فرائصه من هول ما اقترفت يداه ، وتراه ضعيفاً متذللاً صاغراً ، وهو بين يدي لا تسعه الرحمة لأنهُ فاسق خمار ، لكن الشاعر بدا وهو يحتضر بعيداً عن الآثام وارتكاب المعاصي ، فلم يلتمس العفو والرجاء من ربه ، وإنما نفث كلاماً فيه شيء من الحكمة الباهتة ، والندم المتخاذل ، وقوله :

لا خير في عيش من يحيا وليس له ذوو ضغائن لا تخفى وأحقادِ

إنَّه هنا يناقض الحقيقة الانسانية : أنْ يحيا الانسان معافى من أَحقاد الناس ودسائسهم ما استطاع الى ذلك سبيلاً إلا منْ كان ذا علم أو جاه فهو لا يخلو من حساد .

(1) شعراء امويون ، 2 / 342 .

4- الحكمة

في اللغة : من حكم : أيَّ منع ، وأول ذلك الحكم هو المنع من الظلم [1]، والعرب تقول حكمت واحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت [2] ، أَما في الاصطلاح فهي العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها [3]، وجاء في الحديث: إنَّ من الشعر لحكماً اي أنَّ في الشعر كلاماً نافعاً يمنع الجهل والسفه وينهي عنها ، قيل : أَراد بها المواعظ والامثال التي ينتفع الناس بها [4] .

عرفت العرب شعر الحكمة مثلما عرفت باقي الانواع وتناولته في أَشعارها ، وهي إستخلاص المواعظ والعبر ، مع ذكر التجارب التي يمر بها الشاعر من أجل إنتفاع الناس بها .

من خلال إستقراء شعر الغداني لم نجد للحكمة عنده نصيباً كبيراً في شعره إذ إنَّه تناول الحكمة في ثلاثة مواضع .

ففي إحدى قصائده التي يقول فيها [5] : من الطويل

إذا الهَمُّ أَمْسى وهو داءٌ فأَمْضِه ولَسْتَ بمُمْضيه وأَنْتَ تُعادِلُـه

ولا تنزلنَ أمرَ الشديدةِ بامرىءٍ إذا هَمَّ أمرْاً عوّقتْـــهُ عواذلُـــهْ

فما كُلُّ ما حاولته الموتَ دونهً ولا دونه أَرصـــــاده وحبـــائلُهْ

وما الفتك إلا لامرئٍ ذي حفيظةٍ إذا صال لم تُرعد اليه خصائـــله

ولا تَجعَلنَ سراً الى غير أهلــه فتقعدَ إنْ افشىَ علـــيكَ تجادلُـهْ

---

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د–ت ، 2 / 91 .

(2) ينظر ، معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د . مهدي المخزومي و د . ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط1 ، 1988 / 3 ، 66 .

(3) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، د–ت ، 8 / 253 .

(4) ينظر : لسان العرب : مادة (حكم) .

(5) شعراء امويون ، 2 / 362 – 363 .

ولا تسألَ المالَ البخيلَ تَرى لهُ غنىً بعد ضـــــرٍّ اورثــته اوائلُهْ
أرى المالَ أفياءَ الظَّلال فتــارةٌ يُثوبُ واخــرى يختلُ المال خاتلُهْ
لعمرك ما أبقى لي الدَّهرُ من أخ ٍ حفيٍّ ولا ذي خُـــلةٍ لي أُواصلُهْ

يبدو إنَّ الحارثة يغرف من بحر النصائح كثيراً ، ويسديها لمن أَراد ذلك ، ولكنه هو لم ينتصح ، حينما كان أَصدقاؤه ومحبوه ينصحونه بترك المأثم من معاقرته الخمرة ، وإنغماسه في اللهو والملذات ، فهو ينهى عما يأتي به البعض من نصائحه ومعانيه لا قيمة لها أو هي من نافلة الكلام كقوله : الفتكُ لرجلٍ ذي غضب لا يهاب أَو لا تطلب المال من بخيل ولا تفعل فعلاً كبيراً شاورت أَحداً فيه – وشر الاخلاء الكثير غوائله ، فكيف يكون كثير الشر والفساد خليلاً ؟

وأَحسن كلامه :

إذا ما قتلت الشيء علماً فبحْ بهِ ولا تقلُ الشيءَ الذي أنت جاهلُهْ[1]

العالم علمه لخير ينتفعون به ، لا يقل شيئاً هو جاهله ففيه كبير الضرر .

له حكمة أُخرى من بيت واحد، يتحدث فيها عن التأني وعدم العجلة وهو سبب مهم في إنجاز كل شيء ، وانجازه بشكل جيد وسليم ، والتهور يقود الى عمل غير صحيح وغير مكتمل وقد لا ينجز العمل بشكل تام، فيقول فيه[2] :من الكامل

استأنِ تظفر في أُمورِكَ كُلهَّا وإذا عزمتَ على الهوى فتوكلِ

بعد أَنْ تحدث عن مجموعة من الحكم ، يعود ليتحدث عن التأني وعدم الإستعجال والأَخذ بالأسباب والمسببات في نجاح الامور ، وسر هذا النجاح لا يكتمل بالتأَني فقط ، وإنمَّا بالإصرار والعزيمة على إنجازه ، وسر نجاح أَي عمل هو الإيمان بهذا العمل والقدرة على إنجازه بنجاح ، والتوكل يأتي من ثقة النفس القوية لا من النفس الضعيفة التي تخاف من أَبسط الأُمور ، وهذه الحكمة في الشطر الأول من البيت

(1) شعراء امويون ، 2 / 363 .
(2) م – ن ، 2 / 359 .

إذن الغداني يكمل ما بدأهُ من نصائح فيعززها بنصيحة وحكمة اخرى وهي التأني والتوكل في انجاز كل الأُمور .

يستمر حارثة بن بدر في شعره عن الحكمة ، إذْ لابد للكون من مدبر يدبر أُموره ، ولو لم يكن هناك مدبر لساد الفساد ولعمت الفوضى ، ولعطل نظام الكون بأكمله ، فيقول [1] : من البسيط

إنَّ الامورَ لها ربٌّ يُدبرُها في الخلقِ ما بينَ تجميعٍ ومفترقِ
قد يكثرُ المالَ يوماً بعد قلِتهِ ويكتسي الغصنَ بعدَ اليبسِ بالورقِ

إن حكمته التي يريد أَنْ يبينها هي أنَّ للخلق مدبراً يدير الكون الفسيح ، يدبر أمورها سواء كانت إجتماعاً أَمْ افتراقاً ، والتوحد يكون على الحقَّ والعدل ، والتفرق يكون بالأمور السيئة إذ لا إجتماع على أمرْ سيء ، والمال مهما كثر وقل فلابد من تغيير ، والغصن مهما يبس فلابد أَنْ تعاد الحياة اليه ، وان الأُمور تتحول من حال الى حال فلا شيء يبقى على حاله .

كلامه هنا مكرر بسيط ، اذ إن الجميع يعرفون إن للكون مدبراً ، ولكن حكمته تؤكد على الإنسان العمل وطلب الرزق ، فلا عسر إلا بعده يسر ، ولا تفرق إلا يكون بعده اجتماع .

5- الوعظ

((الوعظ والعظة والموعظة ، النصح والتذكير بالعواقب وهو تذكيرك للأَنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ، وقيل السعيد من إتعظ بغيره ، والشقي من إتعظ به غيره)) [2] ، والوعظ تذكير الإنسان بالخير والشر .

إنَّ تقديم الموعظة والنصح للناس ينم عن شخصية حكيمة ذات خبرة وتجارب في الحياة ، ومن خلال هذه التجارب التي يتعلمها في الحياة يعطي الموعظة

(1) شعراء امويون ، 2 / 356 .
(2) لسان العرب : مادة (وعظ) .

والنصح لمن حوله ، فيستفيد منها أَلناس ويأخذونها ويجعلونها مناراً لطريقهم في حال احتياجهم الى النصح والإرشاد والعظة .

كان حارثة بن بدر نجد في كلامه وعظ وارشاد، إذ نرى ذلك في قوله: [1]

من الطويل

طربتُ بفاثور وما كدتُ أطربُ سفاهاً وقد جرّبتُ فيمن يجرّبُ
وجرّبتُ ماذا العيشُ إلا تعلّـةٌ وما الدهرُ إلا منجْنونٌ يُقَلّبُ
وما اليومُ إلا مثل أمس الذي مضى ومثلُ غدِ الجائي وكلٌّ سيذهبُ

وقد عنا هنا الحزن والخوف لأَنهَّم كانوا في حرب الخوارج مع الأَزارقة ، ورأَى بأُم عينه كيف يقتل أَصحابه وينكل بهم فخاف على نفسه ، وقد أَخذ من هذه السفرة تجارب كثيرة فنظرة حارثة بن بدر للحياة أَنهَّا لا تكون إلا لمن يشتغل بها ويتعب ويكد ، فالحياة يكملها العمل لدوام استمرارها ، وما السنة إلا كدولاب يستقي به ، وهذا الدولاب يحرك الماء كيف يريد وهذا حال الحياة فلا تبقى على ما هي عليها ، الأيام دول بينَ الناس فلا تبقى على حال واحدة فتراها تتغير فلا تكاد الايام تتشابه ، والذي يأَتي سيكون حاله مثل حال الذي مضى وكلٌ ذاهب لتستمر عجلة الحياة ، إتعاظ بسيط وواقعي يُدركه كل ذي بصيرة . وما ساقه تحصيل حاصل فالحياة والعيش يشغلان الإنسان ، والدهر دولاب يدور ، تذهب أمم وتأتي أخرى ، ويوم لك ويوم عليك ، وهذا اليوم مثل أَمس ، ومثل غد .

حارثة بن بدر بدأَ يخاطب نفسه في مقطوعته الوعظية الثانية ، ففي هذه المقطوعة استخدم الامر والنهي والدعاء واستخدم أَساليب الطلب، إذ يقول:[2]

من الكامل

ولقد وليتُ إمارةً فرَّجَعتها في المال سالمةً ولم أتمــوَّلِ

(1) شعراء امويون ، 2 / 336 ، فاثور : اسم موضع او واد ببلاد بخز ، والمنجنون : هو الدولاب التي يُستقى عليها .
(2) م – ن ، 2 / 358 .

ولقد منعتُ النصَّحَ من متقبلٍ ولقد رفدتُ النصحَ من لم يقبلِ
فبأيِّ لمسةِ لامسٍ لـم ألتمسْ وبأيِّ حيلةِ حائلٍ لـــــم أحتلِ

في هذه الأَبيات الثلاثة الأُولى يمتدح فيها نفسه ، ويفخر بأَنَّه كان أَميناً صائناً للأمانة ، وإنَّه كان يسدي نصحه لمن رغب فيه ولمن رغب عنه ، وإنَّه لم يلتمس الحاجات كما يطلبها غيره ولم يتوسل بحيل غيره لتحقيق ما يصبو اليه .

بعد ذلك ينتقل الشاعر لتقديم وصاياه ونصائحه بأسلوب مباشر فيقول[1] : من الكامل

يا طالبَ الحاجاتِ يرجو نُجحـــها ليسَ النجاحَ مع الأخفَّ الأعـجل ِ
فأصدقْ إذا حدثتَ تكتبْ صادقـــاً وإذا حـــلفتَ مماريـاً فتحلل ِ
وإذا رأيتَ الباهـــشينَ الى العُـــلا غُبراً أكفَّـــــهُم بريثٍ فـــأعـجل
واحذر مكان الســـوء لا تحلُلْ بـهِ وإذا نبـــــــأ بكَ منزلٌ فتحـــول
وإذا ابنُ عمكَ لجَّ بعضَ لجّاجـــةٍ فانظرْ بهِ عدةً ولا تســـــتعـــجل ِ
وإذا افتقرتَ فلا تـكنْ متـــخشعاً ترجو الفواضلَ عند غيرَ المُفضل
وأستغنِ ما أغناكَ ربُّـك بالغـنى وإذا تـــــكُونُ خصاصة فتجـــمَّل

يبدأُ نصائحه ويوجهها لمن يطلب حاجة ويعمل عملاً يريد له النجاح ، فلابد من التأني وعدم العجلة في نجاح هذا الأَمر ، والزم الصدق لأنَّ الصدق سبيل النجاح والوصول الى الهدف ، وعليك أنَّ لا تحلف وإذا حلفت مجادلاً غيرك فتحلل من حلفك ، ويجب عدم التطلع الى الاعلى وأَخذ ما ليس لك به حق وعليك الإبتعاد عن أَرض السوء وصديق السوء ، وإذا نبأتَ بأَنْ السوء محيط بك فأَبتعد عنه ، ولا تستعجل بالحكم على الناس وتأن في رأَيك ، وعليك أن تطلب الحاجة من صاحبها

(1) شعراء امويون ، 2 / 358 .

الذي تعرفه صاحب فضيلة ، والغنى إذا كان من ربك فعليك بالغنى مما أَعطاك ربك ، وإذا مسك فقر وحاجة فتجلد وإصبر لها فإن مع العسر يسرا .

6- الفخر

هو غرض من الأَغراض الشعرية الموروثة في شعرنا العربي والفخر : الإفتخار، وعد القديم ، وقد فخر وافتخر ، وتفاخر القوم ، والفخر الذي يفاخرك ، والفخير : الكثير الفخر ، والتفخر التعظم والتكبر [1] .

الفخر ((الإفتخار هو المديح بعينه ، الا إن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، فكل ما حسن في المدح حسن في الإفتخار ، وكل ما قبح في المدح قبح في الإفتخار))[2].

وهناك من عد الفخر بأنَّه ((ليس فناً قائماً بذاته وانما تتداخل معانيه في معظم الاغراض الشعرية)) [3] .

إنَّ الفخر هو التغني بالأمجاد التي يبتنيها الشاعر لنفسه أَو لقبيلته أَو وطنه ، وذكر محاسن القوم وشجاعتهم والتغني بالجود والكرم الذي تتفاخر به القبائل .

اما عن شعر الغداني في الفخر فلا نجد له إلا ابياتاً قليلة ، فنراه يفخر في بيت بنفسه، وفي بيتين يمتدح ويفخر بقبيلته بني تميم .

الفخر بالنفس والإعتداد بها الصفة البارزة لحارثة الغداني تكاد تكون واضحة وبارزة في هذا البيت الذي يقول فيه [4]: من الكامل

خلت الديار فسدت غير مسوَّدِ ومن الشقَّاء تفرَّدي بالسودّدِ

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة : مادة فخر .

(2) العمدة : 2 / 92 .

(3) الفخر وتطوره في الادب العربي ، أيليا حاوي ، 1960 / 8 .

(4) شعراء امويون ، 2 / 341 .

يبين لنا الشاعر هنا إنَّ المدينة التي يسكن فيها خلت خلواً تاماً من الأَبطال والاعيان وسليلي النسب ، فأصبح سيداً ولا يريد أَنْ يستسيد قومه ، ويرى أنَّ هذه السيادة ليست تشريفاً له بقدر ما هي شقاء عليه أَنْ يتحمله وهذا لأَنَّ وجهاء بني تميم إجتمعوا فسيدوه عليهم وقد قال (اغرمنيها والله ابن الزافرية) [1] . ويعني هنا الأَحنف بن قيس أَي أَنَّه لو كان يوجد رجل من الاعيان في بلدته لنصبوه عليهم وقومه بعد أن ذهب خيارهم اصبح سيداً عليهم .

كان حارثة الغداني يكره كلمة (سيد) لأَنَّه كلما مر بقوم يحيونه ويقولون له مرحباً سيدنا فكان يضجر من سماع هذه الكلمة [2] ، وهذا بحسب ظني سبب إنشاده لبيت الفخر في القبيلة الذي هو ديدن الشعراء على مرَّ العصور ؛ لأَنَّ القبيلة هي التي تساند الشاعر وترفعه وتقف معه في كلِّ الظروف ، والغداني ينتمي لقبيلة عربية عريقة وهي قبيلة بني تميم وله الحق في أنْ يفتخر بهذه القبيلة ، لأَنهَّا هي صاحبة السر الذي لا يفشى ، فيوصي قومه بأنَّ قبيلته صاحبة السر الخفي على كل أمر ، وإن الاعداء مهما كثروا وتكالبوا على قبيلته فأنهَّم أَعداؤُه ، فعدو العشيرة عدوه يبقى ابداً ، وإنَّ الحرب التي يشعلها بنو تميم على أيٍ كان ، يرفع راية الحرب معهم ، فيقول : [3] من الوافر

إذا ما مُتَّ سُرَّ بني تميمٍ على الحدثان لو يلقونَ مثلي
عُدوُّ عدوُّهم أبداً عدوي كذلك شكلُهم أبداً وشكلي

نجد كثيراً من المبالغة في البيت الثاني تكون من باب شجاعة الشاعر و القبيلة معاً وذلك ان البعض يستغل عداوة لبناء تحالفات ضد العدو لا إن القبيلة مكتفية بنفسها ورجالها وسيدها عن تحالفات مع عدد عدوها .

(1) شعراء امويون / 325 .
(2) ينظر : مختار الاغاني في الاخبار والتهاني ، 2/ 480 .
(3) شعراء امويون ، 2 / 361 .

7- الاعتذار

هو فن من الفنون الشعرية وهو الحجة التي يعتذر بها والجمع أَعذار يقال : إعتذر فلان اعتذاراً وليَّ في الأَمر عذر ، أي ليَّ حجة لأَعتذر منك وألتمس اعذاراً كثيرة[1]. وهو من الحجز والمنع ويقال : ((عذرت الدابة)) اي جعلت لها عذراً بحجزها من الشراد ، فمعنى إعتذر الرجل ، اي إحتجز ، وعذرته : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه [2] .

((وينبغي للشاعر الا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإنْ اضطره المقدار الى ذلك ، وواقعه فيه القضاء ، فليذهب مذهباً لطيفاً ، ليقصد مقصداً عجيباً ، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر اليه)) [3]. إذن الأَعتذار هو طلب العفو والتسامح بعد الإعتراف بالخطأ .

إنَّ الاعتذار في أَغلب صفاته يكون من سلوك إرتكبه إنسان قد اساء الى إنسان آخر، وهذا ما حدث للغداني حينما ترك زوجته وذهب الى سلم بن زياد بخراسان، فأطال المقام في خراسان ، وفي الوقت نفسه كان الرجل الغداني الذي عهد اليه حارثة رعاية زوجته يتقرب منها وهي قد قابلته بالقبول والرضا ، هذا كله بسبب سفر حارثة لمدة طويلة[4]، وهو يعترف بذلك حينما يقول: [5]من الطويل

لعمركَ ما فارقتُ شمّاءَ عن قلىً
ولكنْ أطلتُ النأيَ عنها فملت
مقيماً بمروُّروذ لا أنا قافلٌ
إليها ولا ترنو إذا هي حلّتِ

يعترف بأَنَّه هو السبب في جفاء زوجه وابتعاده عنها ومحبتها لرجل غيره ، فلا هو يستطيع العودة اليها ولا هي تستطيع التقرب منه ،اعتذاره فيه برودة مشاعر ،

(1) ينظر : لسان العرب : مادة عذر.
(2) ينظر العمدة ، 2 / 128 .
(3) م – ن : 2 / 123 .
(4) ينظر : الاغاني ، 8 / 412 .
(5) شعراء امويون ، 2 / 338 .

وكأنه اعتذار عادي كان هو السبب في هذه المشكلة ، اعتذاره باهت لا تظهر فيه لواعج الحب والشوق التي يحملها لزوجه .

8- الشكوى

شكا الرجل أَمره ، يشكو شكواً ، وشكوت فلاناً ، شكية إذا أَخبرت عنه بسوء فعله بك ، والشكاية إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه ، ويستعمل في الحزن والمرض [1] .

إنَّ التشكي والإستعطاف والشفاعة أُمور تتجه اليها النفوس بقصد او بغير قصد ، وهي الرفض وعدم القبول ، وهي الإحساس بالحرمان والظلم تجاه حالة معينة يمر بها الإنسان خلال حياته وقد تكون نفسية أَو سياسية أَو اجتماعية أَو إقتصادية فالشكوى تعد المتنفس الذي يفرغ الشاعر فيه أَحزانه ولوعته ، فشاعرنا الغداني له مقطوعة واحدة في الشكوى قالها بعد أن إحترقت داره في البصرة ، احرقها ابناء عمه فقال في ذلك [2] : من الطويل

لنا نبعةٌ كانتْ تقينا فروعُـها وقد بلغتْ الا قليلاً عُـروقُها
وإنا لتستحلي المنايا نفوسُنا ونتركُ أخرى مُرَّةً لا نذوقُها
وشيبَ رأسي قبلَ حينَ مشيبهِ رعودُ المنايا بيننا وبروقُها
رأَيت المنايا باديات وعوَّدا الى دارِنا سَهلاً الينا طريقُـها

في هذه المقطوعة تتدفق نفثات الشاعر الحرى ويبدو حزنه العميق شاخصاً مؤلماً، وتتجلى الامه المفجعة من أعماق نفسه المكلومة لأَن الحادث الجلل قد اصابه في الصميم ، وإن صروف الدهر وغدر الحاسدين قد شيبت رأسه وحنت ظهره ، والنبعة كانت كناية عن الدار ، واستعار للدنيا حاسة من حواس الكائن الحي وهي الذوق .

ها هو يعتصر الماً على تلك النبعة الوارفة الظلال وقد غدت هشيماً تذره الرياح، وهو يتفجر حزناً وكمداً على كوخه وقد ال الى حُطام ، وأَجاد في التعبير عن حاله البائس حيث قال (وشيب رأسي) فها هي المنايا كأنهَّا غيوم مدلهمة وغمامات

(1) ينظر : لسان العرب / شكا .
(2) شعراء امويون ، 2 / 356 .

سود ينذر برقها ورعدها شر مستطير ، هكذا صار خاوياً متداعي الأَركان فهو حي ميت و لا تنال روحه ما ترجوه وقد بات مهيض الجناح .

إنَّ هذه الأَغراض التي لم تكثر في شعر حارثة نستطيع أَنْ نقول عنها أنهَّا أَغراض غير رئيسة ، فالهجاء عنده سار على خطين فالخط الأَول كان هجاء لاذعاً وساخراً اما الثاني فهو هجاء بارد لا يرتقي الى الهجاء المعروف .

اما رثاؤه فكان فيه نوع من عدم الصدق في التعبير لأَنَّ الرثاء يصدر من نفس حزينة بسبب ما أصابها ، والرثاء إنْ لم يكن صادقاً لا يجد طريقه لتصبير المقابل على فجيعته ، وكثيراً من قصائد الرثاء لم تكم صادرة عن نفس صادقة .

أَما عتابه فكان ذا حظ اوفر وعبارات مؤثرة في نفس المتلقي ، فهذه العبارات الموجعة أَثرت في أَميره فولاه في ذلك الوقت .

أَما بقية أَغراضه من حكمة ووعظ فهي تذكير لما قاله من سبقه فهي حكم ومواعظ مكررة لسابقين والفخر عنده فخر شخصي يفتخر لنفسه والاخر يفتخر ويباهي القبائل الأَخرى بها ، وإعتذاره كان فيه نوع من البرودة تجاه المعتذر منه فلا تجد فيه لوعة المخطئ الذي يريد أَنْ يكفر عن ذنبه . الا مع أَنس بن زنيم الذي كان مؤدباً في إعتذاره له .

Abstract

The thesis is specialized with the study of (Harith Bin Badr Al-gdani poetry – artistic and objective study)

The poet died in 64 Hijri . The selection of this poet wasn't futilely because he wasn't from those well – known poets and literature books didn't contain him so we studied him to show his poetic subjects .

The importance of the thesis is latent that he was a poet trying to treat troubles protesting in his life .

The thesis is consist of introduction , prelude , tow chapters and epilogue (conclusion) shows the most important results.

In the Drelude , the researcher dealt with the poet's life.

Parentage , his era and the life effect in developing of the poetry in Al Amawy era , his fluency , eloquence , his place among other notable at that time his death .

The first chapter is specified to objective study which contained two topics , the first topic contained main subjects in his poetry (wine – contrast – praise) while the second topic involved in the secondary subjects in his poetry like (satire – elegy – blame – wisdom – pride – preaching – apology – complain and dispraise).

The second chapter dealt with artistic study of his poetry , it included three topic , the first topic studied the structure of the poem and poetic figure (imagery) . The second topic involved with the music of the poetry (inner and outer) , the last topic specialized with pronunciation and structures . The thesis ended with epilogue in which the researcher concluded that (Haritha Bin Badr) presented various figures in praise , satire and elegy – He didn't care to the introductions of his poems – His language was distinguished with mildness of express , easy ejections , clarity meaning with stuff of fluency and eloquence .